الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
The people's Democratic Republic of Algeria
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
Ministry of Higher Education and Scientific Research
المركز الجامعي –صالحي أحمد – النعامة Naama University centre –salhi Ahmed-

معهد الاداب و اللغات **قسم اللغة و الادب العربي**

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في اللغة و الادب العربي بعنوان:

الأنساق المضمرة في رواية الديوان الإسبرطي لعبد الوهاب عيساوي

ميدان اللغة و الادب العربي **شعبة الدراسات الادبية** **تخصص أدب عربي حديث و معاصر**

إشراف الدكتور:

ضيف الله عبد القادر

إعداد الطالبين:

-لكحل محمد أمين

-بوعزيز سليمان

د. عبد المجيد رخروخ	أستاذ التعليم العالي	رئيسا
د. عبد القادر ضيف الله	أستاذ التعليم العالي	مشرفا ومقررا
د. لخضر بوخال	أستاذ التعليم العالي	مناقشا

الموسم الجامعي 1444 هـ الموافق 2023/2022

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

المركز الجامعي صالحي أحمد – النعامة –

معهد الآداب واللغات　　قسم اللغة والأدب العربي

تصريح شرفي

خاص بالالتزام بقواعد النزاهة العلمية لإنجاز بحث

أنا الممضي أسفله :

السيد (ة) : كحل محمد أمين

الصفة (طالب – ة : – ب ،) طالب

الحامل (ة) لبطاقة التعريف الوطنية رقم : 209257402

الصادرة بتاريخ : 2023_05_25

المسجل (ة) بكلية / معهد : الآداب واللغات

قسم : اللغة والأدب العربي

والمكلف (ة) بانجاز أعمال بحث (مذكرة التخرج – مذكرة ماستر – مذكرة ماجيستير – أطروحة دكتوراه) عنوانها :

الإنساق المضمرة في رواية اكيوان السرطي لعبد الوهاب عيساوي

أصرح بشرفي أني ألتزم بمراعاة المعايير العلمية والمنهجية ومعايير الأخلاقيات المهنية والنزاهة الأكاديمية في إنجاز البحث المذكور أعلاه .

التاريخ : 2023_06_20

توقيع المعني

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

المركز الجامعي صالحي أحمد – النعامة –

معهد الآداب واللغات　　قسم اللغة والأدب العربي

تصريح شرفي

خاص بالالتزام بقواعد النزاهة العلمية لإنجاز بحث

أنا الممضي أسفله :

السيد (ة) : بوعزيز سليمان .....

الصفة (طالب – أستاذ – باحث) طالب .....

الحامل (ة) لبطاقة التعريف الوطنية رقم : 200026793 .....

الصادرة بتاريخ : 03-04-2016 .....

المسجل (ة) بكلية / معهد : الآداب واللغات .....

قسم : اللغة والأدب العربي .....

والمكلف (ة) بانجاز أعمال بحث (مذكرة التخرج – مذكرة ماستر – مذكرة ماجيستير – أطروحة دكتوراه) عنوانها : الإنساق المضمرة في رواية الديوان الأسبر في لعبد الوهاب عيساوي .....

أصرح بشرفي أني ألتزم بمراعاة المعايير العلمية والمنهجية ومعايير الأخلاقيات المهنية والنزاهة الأكاديمية في إنجاز البحث المذكور أعلاه .

التاريخ : 20-06-2023 .....

توقيع المعني

بسم الله الرحمن الرحيم
١٤٣٨

شكر وعرفان

اللهم لك الحمد حمدا كثيرا، طيبا مباركا فيه، ولك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك، وعظيم سلطانك، ولك يا رب على ما أنعمت علينا من قوة وصبر في إنهاء هذا العمل.

يسرني أن أتوجه بالشكر الجزيل والثناء الخالص والتقدير للأستاذ المشرف ضيف الله عبد القادر على مرافقته لي طيلة هذا الموسم الدراسي لإنجاز هذه المذكرة موجها ومرشدا دونما تقصي، وعلى صرامته في العمل وجديته فيما يتعلق بالبحث، والحمد لله الذي أكرمنا فرصة الدراسة عنده والنهل من علمه، كما أتوجه بالشكر لكل الأساتذة والطاقم الإداري والعمال بالمركز الجامعي صالحي أحمد بالنعامة كل باسمه ومقامه، وإلى لجنة المناقشة، كما لا يفوتني أن أذكر وأخص بالشكر والداي العزيزين اللذان ساندني من المهد إلى يومنا هذا، وجزيل الإمتنان والعرفان إلى كل من ساهم و مد يد العون سواءً من قريب أو من بعيد.

الاهداء

الحمد لله الذي وفقني لإتمام هذه المذكرة

وصل اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وآل محمد

إلى من وضع المولى – سبحانه وتعالى – الجنة تحت قدميها، ووقَّرها في كتابه العزيز... (أمي الحبيبة).

إلى من كان ولا يزال خير مثال لرب الأسرة، إلى صاحب السيرة العطرة، والفكر المستنير فلقد كان له الفضل الأوَّل في بلوغي التعليم العالي (والدي الحبيب) –حفظه الله وأطال في عمره– والذي لم يتهاون يوم في توفير سبيل الخير والسعادة لي.. (لك أبي العزيز)، إلى أصدقائي ومعارفي الذين أُجلُّهم وأحترمهم.. إلى أساتذتي الكرام

إلى إخوتي إلياس و نجاة و إيمان و هدى أحبكم و أحترمكم

إلى عمي عبد القادر و نور الدين، أكيد لن أنسى دعمكما لي و مساعدتي في إنجاز مذكرتي

أحترمكما كثيرا

إلى جميع أساتذتي الكرام؛ ممن لم يتوانوا في مد يد العون لي أُهدي إليكم بحث تخرجي .

مقدمة

مقدمة :

تعرف الرواية بأنها فن أدبي نثري طويل يعتمد في أساسه على الخيال، وهو نسيج تترابط فيه مجموعة من العناصر فيما بينها وفقا لعلاقات معينة، وتسير ضمن تسلسل الأحداث مدروسة لوصف تجربة إنسانية ضمن إطار من التشويق و الإثارة تعكسه مجموعة من الشخصيات، في بيئة معينة، بحيث لا يجب قراءة هذه الرواية بطريقة سطحية، أي البحث عن المعنى السطحي الواضح والمباشر الذي يرمى إليه المؤلف، بل يجب التعمق والاندماج والتلذذ بقراءة السرد قراءة تأملية دقيقة، ترتكز على التحقيق في ما وراء السطور من المبنى الحكائي، ومعرفة ما لم يقل عن طريق ما يقال من باب التلميح والإيحاء، وذلك للكشف عن المضمر في ثنايا الرواية، وهذا يجعل من قارئ مستقبل للسرد الى قارئ منتج وفاعل ومفسر له، لا يكتفي بالمنظور السطحي للنصوص، وعلى هذا الأساس اخترنا موضوع: الأنساق المضمرة في رواية الديوان الإسبرطي " لعبد الوهاب عيساوي" لتكون موضوعا لدراستنا للكشف عن مقومات الأنساق المضمرة في هذه الرواية، ولنتعرف على خبايا وتلميحات الروائي والبحث في نسجه السردي.

يعد موضوعنا من أهم الموضوعات الجديدة، وعندما نقول جديدة فإننا نلمح إلى أن الرواية التي هي موضع دراستنا، رواية حديثة الصدور فهي حديثة الوجود وذلك لكاتبها الشاب عبد الوهاب عيساوي، والحاصلة على جائزة البوكر العربية. قد حفلة بالأنساق خاصة الأنساق التاريخية والسياسية، لهذا جاء موضوعنا معني بمحاولة البحث في الأنساق المضمرة في هذه الرواية الجزائرية. وذلك كله خدمة للأدب الجزائري الذي لفت الانتباه في السنوات الأخيرة في الساحة العربية.

وقد حاولنا في موضوعنا هذا الإجابة على الإشكاليات الآتية :

- ما مفهوم النسق المضمر؟

- و ماهي أهم الأنساق المضمرة في رواية الديوان الإسبرطي ؟ وكيف تجلت ؟

من أجل البحث وحل إشكالية موضوع دراستنا اعتمدنا الخطة التالية: مقدمة وفصلين وخاتمة، فالمقدمة جاءت لطرح الإشكالية وتبيين مدى أهمية موضوع دراستنا و الصعوبات التي واجهتنا، أما الفصل الأول فقد حاولنا فيه تبين أهم المصطلحات والمفاهيم التي اشتغل عليها بحثنا،أما الفصل الثاني فكان تطبيقا حاولنا فيه رصد أهم الأنساق المضمرة في الرواية، والتي رأينا أن أهمها انحصر في الأنساق التاريخية والسياسية والثقافية. ثم جاءت الخاتمة كخلاصة لأهم نتائج هذا البحث منها أن

رواية الديوان الإسبرطي قد حفلت بالأنساق المضمرة التي بينت موقف الروائي من حقبة تاريخية مرت بها الجزائر وهي الحقبة الاستعمارية.

وقد استفدنا في بحثنا هذا بمجموعة من الدراسات أهمها :

1/ عبد الله الغذامي ، النقد الثقافي ، قراءة في الأنساق الثقافية العربية

2/-إدوارد سعيد، الثقافة و الإمبريالية

3/-مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر، صراع الأنساق الثقافية في رواية الديوان الإسبرطي للكاتب عبد الوهاب عيساوي.

وقد واجهتنا بعض الصعوبات تمثلت في : صعوبة موضوع الأنساق المضمرة في رواية تاريخية إذ يجب على الدارس أن يحيط بمعارف شتى وأن يطلع ويتمعن في جميع صفحات الرواية التي يفوق حجمها 380 صفحة في وقت ضيق، وعلى الرغم من ذلك إلا أننا قرأنا كل صفحة بتمعن ودقة لاكتشاف المضمر في أسطرها، فأخذ منا هذا الكثير من الوقت والجهد.

وفي الأخير نحمد الله حمدا كثيرا يليق بجلاله على توفيقه وعلى جميع نعمه، ثم نشكر الأستاذ المشرف عبد القادر ضيف الله أولا على اختياره موضوع بحثنا هذا الذي استفدنا وانتفعنا بطرحه، وثانيا على حسن معاملته لنا واستقباله لرسائلنا وتسهيله الوصول إليه للاستفسار عن موضوعنا ومناقشته.

فما أصبنا في هذا البحث فهو من عند الله عز وجل ،وإن أخطأنا فكان لنا شرف المحاولة إذ كنا طلابا باحثين نسعى لاكتشاف موضوع جديد سعينا له كل السعي.

كما نوجه شكرنا العميق إلى أساتذتنا الذين درسونا و إلا كل من ساعدنا من قريب أو من بعيد على هذا البحث.

لكحل محمد أمين و سليمان بوعزيز

2023/06/ 17

الفصل الأول

الألفاظ والمصطلات

الفصل الأول: تعريف المصطلحات

1/- النسق:

2/- المضمر:

3/- الظاهر:

4/- النسق الظاهر:

5/- النسق المضمر:

6/-النسق التاريخي والسياسي:

7/-النسق الثقافي:

1/-النسق:

شمل هذا المصطلح وعبر ليصل عدة علوم فكرية، و علمية و رياضية و فيزيائية و فلسفية أيضا، بالإضافة إلى بعض العلوم الاجتماعية والسياسية والثقافية وغيرها، فهو يحدد عبر وظيفته النسقية التي توجه إليه.

أ- لغة :

جاء في بعض المعاجم تعريفات لهذا المصطلح : في معجم الطلاب ورد أنه:النسق من كل شيء هو ما كان على طريقة ونظام واحد عام[1].

و في لسان العرب النسق من كل شيء ما كان على طريقة ونظام واحد، و اتسق هو التناسق والاسم النسق. والنحويون يسمون حروف العطف حروف النسق لأن الشيء إذا عطفت عليه شيئا بعده جرى مجرا واحدا. وثغر النسق إذا كانت الأسنان مستوية، ونسق الأسنان انتظامها في النبتة وحسن تركيبها والتنسيق:التنظيم[2].

أما الزمخشري فقال النسق الدر و غيره، ونسقه و در منسوق، ومنسق ونسق و تنسقت هذه الأشياء وتناسقت، ومن مجاز كلام متناسق، وقد تناسق كلامه، وجاء على نسق و نظام، وثغر نسق، وقام القوم نسقا ،وغرست النخلة نسقا[3]

ب-اصطلاحا :

عرف اللسانيون النسق على أنه نظام من العلاقات المتفاعلة بين الأنساق الفرعية لتحقيق حالات من التوازن، فيمكن اعتبار الأسرة، كنسق اجتماعي قائمة على الترابط بين أفرادها. وهذا يعني أن النسق يظهر مجموعة من الأجزاء المترابطة، وذلك وفق علاقات معينة لتشكيل وحدات أكبر منها، و هذا هو حال اللغة.

مطلوب أيضا من هذه الوحدات أن تكون بينها علاقة ترابطية، والتي تتواجد في مستويات اللغوية المختلفة، على سبيل المثال: الفونيم أصغر وحدة صوتية على المستوى الصوتي، وإذا تشكلت مجموعة من

[1] كريم السيد محمد محمود، معجم الطلاب الوسيط، مادة النون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2016 ،ص 816

[2] ابن منظور ،لسان العرب، مادة النون ،دار صادر، بيروت، لبنان،1993، ص 247

[3] جار الله الزمخشري، أساس البلاغة، ت ح ،فريد نعيم وشوقي المعري، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط1، 1998، صج 13،ص824

الفونيمات تحت نظام وعلاقات معينة، فستشكل لنا مورفيم الذي بدوره يحولنا إلى مستوى لغوي آخر، والأمر تماما مع المستوى الصرفي، وكذا التركيبي والدلالي والمعجمي[1].

أما عبد الله الغدامي فيقول: لا يتم تحديد النسق من خلال وجوده العلني والمجرد، ولكن يكون ذلك من خلال وظيفته النسقية التي تحدد له ليتقيد بها، ويكون ذلك عندما يتعارض نسقان أو نظامان من الخطاب أو الإنتاج الفكري يكون أحدهما ظاهر و الآخر مضمر ويكون المضمر ناقضا و ناسخا للظاهر، إذ يكون ذلك في نص أو ما هو في حكم النص الواحد، ويشترط في النص أن يكون جماليا، وأن يكون جماهيريا. ولسنا نقصد الجمالي حسب الشرط النقدي المؤسساتي، وإنما الجمالي هو ما اعتبرته الرعية الثقافية جميلا[2].

جعل هذا المصطلح الكثير من المفكرين والنقاد فضوليين اتجاهه حيث لقي اهتمام كبير عندهم على سبيل المثال نجد علي سلمي قد تحدث عنه حيث قال : النسق إذا هو مجموعة القوانين والقواعد العامة التي تحكم الإنتاج الفردي للنوع و تمكنه من الدلالة، لما كان النسق تشترك في إنتاجه الظروف والقوى الاجتماعية والثقافية من ناحية والانتاج الفردي للنوع من ناحية أخرى، وهذا الانتاج لا ينفصل هو الآخر عن الظروف الاجتماعية والثقافية السائدة، فإن النسق ليس نظاما ثابتا وجامدا إنه ذاتي التنظيم من جهة ومتغير متكيف مع الظروف الجديدة من جهة ثانية، أي أنه في الوقت الذي يحتفظ فيه ببنيته المنتظمة يغير ملامحه عن طريق التكيف مستمر مع المستجدات الاجتماعية والثقافية[3].

يبدو أن هذا المصطلح لا يخرج عن كونه يشمل تحليل العبارات والجمل والتأكيد على العلاقات النحوية بين الكلمات والعبارات في اللغة. وتساعد دراسة النسق في فهم أفضل لبنية اللغة والقواعد النحوية الأساسية التي يجب اتباعها لتكوين جملة صحيحة ومفهومة.

يجري استخدام كلمة النسق كثيرا في الخطاب العام و الخاص، وتشيع في الكتابات إلى درجة تشوه دلالتها. وتبدأ بسيطة كأن تعني ما كان على نظام واحد. كما في تعريف المعجم الوسيط. وقد تأتي مرادفة لمعنى البيئة أو النظام حسب مصطلح ديسوسير. واجتهد باحثون عرب في تصميم مفهومهم الخاص للنسق. ومع

[1] ينظر، بلال شوابكة، مقال حول مفهوم النسق في اللسانيات، الإنترنت

[2] عبد الله الغدامي، قراءة في الأنساق الثقافية العربية،ط4، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 2008، ص77

[3] محمد إبراهيم عبادة، معجم مصطلحات النحو والصرف العروض والثقافة، مكتبة الأدب، القاهرة، ط1، 2011، ص 182

أننا لا نعترض على حضور هذه دلالات إلا أننا هنا نطرح النسق كمفهوم مركزي في مشروعنا النقدي، ومن ثم فإنه يكسب عندنا قيم وسيمات إصطلاحية خاصة نحددها فيما يلي.

1- يتحدد النسق عبر وظيفته وهذا يكون حينما يتعارض النسق الظاهر مع المضمر ويكون ذلك في نص واحد أوما هو في حكم نص واحد ويشترط في النص أن يكون جماليا وجماهيريا وثقافيا .

2-هذا يقتضي إجرائيا أن نقرأ النصوص والأنساق التي تلك صفتها قراءة خاصة، قراءة من وجهة نظر النقد الثقافي أي أنها حالة ثقافية، ومن هنا فإن الدلالة النسقية فيه سوف تكون في الأصل النظري للكشف والتأويل، مع التسليم ووجود دلالات أخرى، الصريح منها والضمني حيث أنها تلعب أدوار خطيرة من حيث هي أقنعة تختبئ من تحتها الأنساق وتتوسل بها لعمل عملها الترويضي، الذي ينتظر من هذا النقد أن يكشفه.

3 –و الأنساق الثقافية هذه أنساق تاريخية أزلية وراسخة ولها الغلبة دائما، وعلامتها هي اندفاع الجمهور إلى استهلاك المنتوج الثقافي المنطوي على هذا النوع من الأنساق، ليجعل المنتوج الثقافي أو النص يحظى بقبول جماهيري عريض وسريع .

4-الأنساق الثقافية أنساق تاريخية أزلية وراسخة ولها الغلبة دائما وعلامتها هي اندفاع الجمهور الى استهلاك المنتوج الرمزي في الأنساق ذي الطبيعة المجازية الكلية والجماعية (هي ليست فرديه كما هو المجاز البلاغي) فيقوم هذا الجبروت الرمزي بدور المحرك الفاعل في الذهن الثقافي للأمة، والمكون الخفي لذائقتها وأنماط تفكيرها وصياغة أنساقها المهيمنة .

5- ولم يبقى إلا أن نشير إلى احتراز اصطلاحي حول شروط وجود نسقين متعارضين في نص واحد، أذ أننا هنا لا نعني النص بمعناه الأول، وإنما المقصود هنا هو الخطاب أي نظام التعبير الإفصاح سواء كان في نص مفرد أو نص طويل مركب أو ملحمي أو في مجموع إنتاج مؤلف ما، المهم هنا هو وجود النسقين معا وفي حالة استصحاب لازمة .

نقول إذا أن هذه الخطابات والأنماط الثقافية والسلوكيات هي ثورية ثقافية فيها المعنى القريب والمعنى البعيد،حيث أن القريب هو مثن جمالي تتعدد دلالاته ومجازاته وتضميناته، فتتنوع تأويلاته حسب نطاق الوعي المعرفي والعقلي. أما المعنى البعيد فهو يختبئ تحت ثنايا المضمر النسقي .

ومن هنا فإن العمل أو الخطاب المتسم بهذه الصفات والشروط المحدده أنفا هو ما نسميه بالنسق فهو يأخذ بالدلالة النسقية والجملة الثقافية[1].

2/- المضمر :

أ - لغة:

جاء في لسان العرب بالتحديد الفعل ضمر: أضمرت الشيء أخفيته و هو مضمر وضمر كأنه اعتقد مصدرا على الحذف الزيادة مخفي... و أضمرته أرض غيبته إما بموت أو سفر، وفي نفس الجذر اللغوي "ضمر" من معانيه التي وردت: الضعف والهزال، السر والخفاء، والدقة والغياب بالموت أو السفر، ويقولون جمل ضامر و ناقة ضمار، والضمر من الرجال: الضامر البطن و الأنثى ضمر ،والضمير: السر والداخل والشيء الذي تخفيه في قلبك.[2]

جاء عن الضمر في معجم مقاييس اللغة بأن:" ضمر الضاد والميم والراء أصلان صحيحان أحدهما على الدقة في الشيء والآخر يدل على الغيبة والتستر[3]."

ب_اصطلاحا :

يتيسر مصطلح المضمر إلى المعنى الذي يتم استنتاجه من خلال الكلام أو النص، والذي ينبع مباشرة من المعنى الحرفي للكلمات المستخدمة. ويتم استخدام هذا المصطلح للإشارة إلى المعاني الإضافية اللتي يتم استنتاجها ضمن سياق معين ويمكن أن يكون المضمر صريحا أو ضمنيا، حيث يتم التعبير عنه بصراحة في بعض الأحيان بينما يتم استنتاجه ضمنيا في الأحيان الأخرى، وعادة ما يتم استخدام المضمر لإظهار الدلالات الإضافية للكلمات والعبارات والتي يتم استنتاجها من خلال السياق أو الوضع الذي يستخدم فيه النص أو الكلام.

ويعد مفهوم المضمر أحد المفاهيم التي تساعد على فهم كيفية تحليل النصوص والكلام من قبل الأفراد وكيفية استنتاج المعاني الإضافية من النصوص والكلام. ويتم استخدام مفهوم المضمر في العديد من المجالات مثل علم اللغة وعلم الاتصال وعلم النفس والفلسفة... حسب الوظيفة التي تحدد له[4].

---

[1] ينظر، عبد الله الغذامي، قراءة في الأنساق الثقافية العربية، ص من 76 إلى 80

[2] ابن منظور، لسان العرب، مادة "ض"، ص492

[3] ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تح عبد السلام هارون، دار الفخر،بيروت، لبنان، 1979،ج5، ص420

[4] ينظر، عبد الله الغذامي، قراءة في الأنساق الثقافية العربية، ص من 79 إلى 81

يكون المضمر نقيضا ومعاندا للعلني وهذا ما يجعل النص في مجال النقد الثقافي وأيضا هو يعتمد على تأويل لوجود دلالات أخرى مخفية تحت المعنى الظاهر، وهو دلالة مضمرة، فإن هذه الدلالات ليست مصنوعة من المؤلف، ولكنها منكتبة ومنغرسة في الخطاب، مؤلفاتها الثقافية ومستهلكوها هم جماهير اللغة والكتاب والقراء.

ومن ذلك إذا أدلى شخص ما بالقول التالي: "الحر شديد" هنا لا يعني أن المتكلم يقصد أن يقول أن الجو حار بل يمكن أن يرمي من ورائه إلى قول ما يلي" إفتح النافذة أو أطفئ التدفئة"[1]،فهو يلمح إلى ما يريد بمعنى وصياغ أخر. ويختلف التحليل اللغوي من شخص لأخر حسب ذكائه ومدى تفكيره وتحليله للكلام.

3-الظاهر :

جاء في معجم الوسيط: الظاهر: خلاف الباطن، ومن كل شيء أعلاه ومنه ظهر ظهورا: أي هو ظاهر، وظهير الأمر: بدا وتبين[2].

و منه الظاهر هو مصطلح يستخدم للإشارة لما هو واضح و ملحوظ بشكل لا يحتاج إلى تفسير، ويمكن أن يشير إلى شيء مرئي أو ملموس أو حقيقي مفهوم بوضوح. ويمكن استخدام هذا المصطلح في العديد من السياقات المختلفة، مثل الحديث عن الظواهر الاجتماعية أو الثقافية التي يمكن رؤيتها بوضوح في المجتمع، كما يمكن استخدامه في الحديث عن الظواهر النفسية والعقلية التي تشير إلى السلوكات والاعتقادات الشائعة بين الناس والتي يمكن رؤيتها بوضوح في السلوك اليومي والتفاعلات الاجتماعية.

4- النسق الظاهر :

النسق الظاهر هو رفيق النسق المضمر ونقيضه في آن واحد، يلازمه ولا يفك عنه، فالنسق الظاهر يعلن عنه ويتجلى في سطح النص وفي معانيه وأبنيته، في حين يعمل النسق المضمر على اختفاء والتواري والانزواء في أعماق النص.[3]

---

[1] كاثرين كيريرات أوركبوني، المضمر، تر، ريتا خاطر، المنظمة العربية للترجمة،مركز دراسات الوحدة العربية،بيروت، لبنان، ط1، 2008،ص20

[2] كريم سيد محمد محمود، معجم الطلاب، مادة "ظ"، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2016، ص499

[3] شوكة الربيعي، الفن التشكيلي المعاصر في الوطن العربي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، ط1، 1985، ص 51

6 -النسق التاريخي والسياسي المضمر:

إذا هو دراسة تتطلب تحليلا شاملا وعميقا للحوادث والأحداث تاريخية والسياسية والشخصيات التي تصور لنا الأحداث بطريقة مضمرة وخفية تجعل من القارئ يبحث عن الدلالات والتأويلات العميقة تفسر مجريات هذه الأحداث .

وهو نظرية ومفهوم في الفلسفة والنقد الأدبي، وهو مصطلح يشير إلى السعي لفهم كيفية تأثير الزمن والتحويلات التاريخية و السياسية على أدب أو حادثة ما أو تاريخ معين، يتم الاعتراف بأن النصوص الأدبية أو الأعمال الأدبية لا يتم فهمها بشكل مستقل عن سياقها التاريخي والثقافي واللغوي. وهذا يعني أنه يجب علينا محاوله فهم النصوص في سياقها التاريخي والتأمل في العلاقات بين النصوص و السياق الذي نشأت فيه والظروف السياسية المتغيرة من حوله.

ويقول أوسيمان أن النسق التاريخي المضمر يتعلق بالتمييز بين نسقين مختلفين للتعبير الأدبي: النسق الخمسيني الذي يعتمد على الوصف الواقعي والتفصيلي للأحداث والشخصيات. والنسق الأرسطي الذي يعتمد على الرمزية والتعبير المجازي والمركب، ويحتاج الناقد إلى فهم النسق التاريخ المضمر لكل من هذين النسقين لفهم الأدب بشكل كامل وعميق .

وكأن النسق التاريخي هو محاولة لإعادة كتابة التاريخ المهمش بتسليط الضوء على جملة من المحطات التاريخية الهامة، من خلال تتبع المسار التاريخي للحادثة أو ما نكتب عنه أو بمعنى آخر هو توظيف المادة التاريخية والسياسية داخل عمل سردي ما ."قلب الباحثون وجوه علاقة بين التاريخ والسرد من حيث توظيف المادة التاريخية وأشكالها ووظيفتها وهي تتخطبط السرد الروائي..."[1]

5-النسق المضمر :

لا يخرج هذا المصطلح عن كونه كما عرفه الغذامي حيث قال :

بسبب عامى النقد الأدبي وانشغاله بالأمور الجمالية والجمل النحوية والأدبية ودلالاته الصريحة والضمنية. ظهر النقد الثقافي ليغطي ويتم حاجيات الخطاب أو العمل الفني فأنتج لنا ظاهرة الأنساق .

النسق المضمر هو كل دلالة مختبئة يرفع عنها الغطاء وتزول أقنعتها و وسائلها الخافية، ليكون ناقضا وناسخا لما هو ظاهر ويكون ذلك في نص واحد أو ما هو في حكم النص الواحد. ثم إن هذه الدلالات

[1] ينظر, عبد الله ابراهيم التحليل التاريخي رد الامبراطوري والتجربة الاستعمارية المؤسسة العربية للدراسات والنشر،ط1, 2011, ص 10.

المضمرة ليست مصنوعة من المؤلف .على الرغم من أنها منغرسة في الخطاب أو جنس أدبي ما، فهي نتاج مستهلك من طرف جماهير اللغة من كتاب وقراء، وهذا ما أشار إليه الغدامي حين قال:" يكفينا أن نرى أنفسنا ونحن نطرب لقراءة (الروض العاطر)أو نردد بعض أبيات شعرية أو نستمتع بنكتة أو إشاعة مروية، مما هو ضد ما نؤمن به عقليا، لكننا نرتضيه، وتطرب له وجداننا، ونتأسس به تبعا لذلك وتتولد في داخلنا أنماط أخرى هي صورة لهذه الأنساق .وعليه فإننا بمجرد القراءة واستجابتنا لهذه الحيل والوسائل البلاغية والجمالية والطبيعية المجازية والثورية، سنتنبأ بوجود حركة مضمرة تستفز أفكارنا وخيالنا الفكري تدفعنا للكشف عنها وإزالة ستارها وقناعها. ومن ذلك نستسقي المضمر النسقي ودلالته، لتشبع تصوراتنا وتستجيب لأفكارنا العميقة .

وضع عبد الله الغدامي في كتابه النقد الثقافي مثالا وصورة بين ما يجري لتصوراتنا وتأويلاتنا عند سماعنا أو قراءتنا لتعبير ما فانتقل من المعنى السطحي إلى المعنى المدفون فقال: حينما يردد الناس مقولة مثلا :فلان ابن أصول أو ما عنده أصل، أو كلمات أخرى كقولهم فلان رجال(ما هو رجال)، هو إنسان (ما هو إنسان) وفلانة امرأة حقيقة أو ليست امرأة... بمعنى أن هناك تصورات مضمرة عن مجموعة من الصفات المستوحاة، فإذا وجدت هذه الصفات صار المرء رجلا وذا أصل وعدمها ينفي عن ذلك...[1]

وبما أن كلمة(أصل) هي كلمة جامعة تعمل كدال رمزي على منظومة من الصفات الجامعة ، التي تختبئ في المضمر فإنها لا تنبئ عن نفسها إلا في وقت حاجة ، مما يجعلها ملجأ نفسي وذاتي لحسم اللحظات الغامضة والحرجة التي لا يملك الإنسان فيها لغة أخرى لمواجهة الموقف والتعبير عنه، وتأتي هذه الكلمات من المخزن العميق لتتكلم بالإنابة عنا .

يقول وحيد بوعزيز: أن عالم الأنساق المضمرة هو العالم الرمزي للنصوص، أي العالم الذي يقتضي طاقة تأويلية علمية بحيثيات الإيديولوجية والصراع المجتمعي في كنف الثقافية[2].

7-النسق الثقافي المضمر :

يعتبر النسق آلية من آليات الهيمنة والتحكم في السلوكات العامة والممارسات الاجتماعية والعمليات النفسية [3].

[1] ينظر، عبد الله الغذامي، قراءة في الأنساق الثقافية العربية،ص من 79 الى 85

[2] وحيد بوعزيز، مقال حول وظيفة النقد الثقافي هي استنطاق النصوص المطموصة، جريدة النصر، ديسمبر، 2018

[3] نادر كاظم، تمثيلات الآخر، سورة السود المتخيل العربي الوسيط، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2004، ص 102

إذا فالنسق الثقافي هو مجموعة القيم والمعتقدات والتصورات والسلوكات التي تتشكل في إطار مجتمع معين وتؤثر على سلوك أفراده وتشكل هويته الثقافية من العديد من العناصر المختلفة ، بما في ذلك اللغة والدين، والعادات والتقاليد، والفنون والأدب، ونظام القيم ونمط العيش والتواصل، والعلاقات الاجتماعية، فهو أبنية لا شعورية للثقافة[1] .

يتم تشكيل النسق الثقافي من خلال التفاعلات المتكررة بين الأفراد والمجتمع و التاريخهم والعوامل الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والتكنولوجية التي تؤثر على تطور المجتمع. يعتبر النسق الثقافي أساسيا لتحديد سلوك الأفراد والمجموعات وتشكيل هويتهم وتوجهاتهم وقراراتهم، إذ يختلف من مجتمع إلى آخر ويمكن أن يكون لكل مجتمع نسق ثقافي فرعي أو متعدد يختلف في بعض الجوانب .يمكن للنسق الثقافي أن يتغير مع مرور الوقت ومع تأثيرات الخارجية، فالأنساق الثقافية قابلة للتطور شأنها شأن كل عناصر الحياة.

فهم النسق الثقافي يمكن أن يساعد في فهم سلوك الأفراد والمجموعات وتفسير الاختلافات بين الشعوب والمجتمعات المختلفة، كما يساهم في بناء التفاهم و التعايش بين الثقافات المختلفة، وتعزيز الحوار الثقافي والتنوع الثقافي.

[1] محمد عابد الجباري، تكوين العقل العربي، مركز دراسات الوحدة ألعربية، بيروت، لبنان، 199،ص73

الفصل الثاني:

أهم الأنساق المضمرة في رواية الديوان الإسبرطي

المبحث الأول : النسق التاريخي والسياسي المضمر

1/- المقارنة بين التواجد العثماني و التواجد الفرنسي في الجزائر:

2/-الجشع و اللا إنسانية:

المبحث الثاني : النسق الثقافي المضمر

1/-الهوية :

2/-عادات وطقوس أخرى :

المبحث الأول : النسق التاريخي والسياسي المضمر

تمهيد :

النسق التاريخي هو مفهوم يشير إلى النمط الزمني للأحداث والتطورات السياسية التي تحدث في مجتمع معين أو في فتره زمنية محددة. يعتبر النسق التاريخي إطارا عاما يساعد على فهم التغييرات والتحولات التي تحدث على مر الزمن في المجتمعات والحضارات، فهو يتأثر بالعوامل الجغرافية والثقافية والتاريخية لكل مجتمع وهذا يؤدي إلى تنوع في الأشكال والمظاهر والتطورات التي يمكن أن يتبعها .

تعتبر رواية الديوان الإسبرطي رواية تاريخية إذ تصدت إلى أهم مرحلة في تاريخ الجزائر الممتدة بين 1815 و1833 أي أثناء التواجد العثماني إلى أن دخل الاستعمار الفرنسي للجزائر .إذ جعل عبد الوهاب عيساوي مقارنة للحياة داخل المحروسة وكيف اختلفت من الاحتلال التركي إلى الاستعمار الفرنسي، حيث وضع خمس شخصيات مثلت رواة لأحداث هذه الفترة الزمنية والمرحلة الاستعمارية داخل المحروسة.

الجزائر جزء من التاريخ الأوسع لتاريخ شمال إفريقيا والمغرب العربي على وجه الخصوص يمتد إلى ألاف السنين، لذلك شمال إفريقيا بوابة عبور لمن يتجه الى اوروبا أو الشرق الأوسط لذلك يتأثر السكان في هذه المنطقة بالسكان في الضفة الأخرى في أوروبا، فإن تحدثنا عن الجزائر في العصور القديمة فقد مرت على هذه الأرض إمبراطوريات وحكومات وعدة مماليك بدأ بمرحلة الفينيقيين اللذين وصولهم الى الساحل الشمالي لإفريقيا و احتلوا الأراضي الجزائرية، فأسسوا هيبون وهي عنابة الحديثة، وإيكوزيوم الجزائر العاصمة حاليا وغيرها من المناطق ،ثم ظهر المماليك النوميديين قبل أن تمر تحت الهيمنة الجزئية للرومان والوندال والبيزنطيين والأقليات المستقلة ،بعدها شهد القرن السابع الفتوحات الإسلامية حيث عرفت في هذه المرحلة المنطقة المغاربية العديد من السلالات الحاكمة منها:الرسمية(767- 909) ،الزيريون(972- 1148)، ثم الحماديون(1014- 1152) ،الزيانيون(1235- 1556)، وفترات الاندماج في المجموعات الأكبر والأمويين في القرن الثامن يليهم الفاطميين القرن العاشر ،ثم المرابطين في القرن الحادي عشر، ثم الموحدين في القرن الثاني عشر .

لكل نص عبقريته الخاصة، كما أن لكل إقليم جغرافي في العالم عبقريته، بتجاربه المتقاطعة الخاصة، وبتواريخ النزاع المتداخلة الخاصة به[1]. وعلى هذا صور لنا الروائي عبد الوهاب عيساوي في روايته ديوان الإسبرطي تاريخ الفترة التي تواجد فيها العثمانيين ثم فترة الاحتلال الفرنسي، مستعينا بعدة شخصيات

[1] إدوارد سعيد، الثقافة و الإمبريالية، دار الآداب للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط4، ص 21

وأحداث محلية جرت في الأرض المحروسة. ومن روايته يمكننا استنتاج أن هذه المرحلة التاريخية قد كشفت على أنساق مضمرة هي كالتالي:

1/-المقارنة بين التواجد العثماني و التواجد الفرنسي في الجزائر:

1-1- الاحتلال العثماني للأراضي الجزائرية:

هنا نرى تصرف الروائي في تقسيم الشخصيات إذ أن هذه المرحلة يرويها لنا كل من ابن ميار،وحمة السيلاوي ،ودوجة الشخصية الثانوية التي جاء بها الروائي، فكل من هذه الشخصيات كانت لديه حياة مختلفة باختلاف وجهات نظرها ومواقفها من الأتراك .

التحقت الجزائر بالدولة العثمانية في 1504م بعد استنجاد الجزائر بالأخوين بربروس خير الدين وعروج، حيث وضعوا الجزائر تحت سيادة الدولة العثمانية واستغلوا موقف احتلال الإسبان لمدينة وهران بقيادة غونز الوسيسنيروز، فوضع الأخوين بعد نجدة الجزائر سواحل البلاد قاعدة لعملياتهم البحرية على الأساطيل المسيحية، ومن هنا انضمت الجزائر تحت لواء الخلافة العثمانية بداية من عام1519 , فدعمت الدولة العثمانيه الجزائر والأخوين بربروس وأعلن استجابتهم للسكان فحرروها, ثم بدأت تظهر إيالة الجزائر وعرفت الجزائر حكام في هذه المرحلة، ومن بين الشخصيات التي كشفت عن هذه المرحلة:

1- ابن ميار:

هو أحد أعيان المحروسة(الجزائر)، كان محبا للأتراك ويعمل في التجارة معهم وظهر ذلك في الرواية إذ قال:" رغم رحيله مازلت انتظر خادمه يدق بابي ويومئ لي أن ألتحق به، أتسلق الدروب المؤدية إليه ألج القصبة واعبر ازقتها الضيقة، ثم أنعطف غربا يقابلني القصر والشواشي على جانبي الباب، يسبقني الخادم إلى باحته ثم ألتحق به،أتأمل النافورة ومياهها التي نضبت اليوم... يومها كانت المحروسة عرسا لنا ولهم، وبعد رحيلهم أضحت المدينة تختلط فيها الدماء بالغبار"[1]. يجسد هنا ابن ميار نسقا مضمرا، تمثل في الحنين إلى الأتراك.

ويقول أيضا:" لكنك تعتقد أنك بعرائضك هذه ستعيد المجد لهذه المدينة بعد رحيل بني عثمان... آمنت بأن العثمانيين سيعودون ..."[2] في هذا الحوار الداخلي يريد ابن ميار أن يبين أهمية العرائض فهي من

[1] عبد الوهاب عيساوي، الديوان الاسبرطي،ط1، دار هيم للنشر، الجزائر، سنة 2018،ص48

[2] المرجع نقسه، ص 49

ستعيد المجد لهذه المدينة لأنها تمثل صوت أهالي المحروسة الذين يطالبونه بالكتابة لنقل معاناتهم والجرائم التي ترتكب في حقهم، و تصوير مجريات ما يحدث لهم عن طريق هذه العرائض.

يضيف كاشفا عن انحيازه للعثمانيين : " كان الوقف هو من يتحمل النفقة ،والعثمانيون كانوا يبجلونه ويهبون جزءا من أموالهم وقفا يستفيد منه فقراء الجزائريين وعلمائهم، وبعد رحيل بني عثمان داهموا مساجد الأحناف... كتبت مئات العرائض أشكوهم إلى الدوق، قلت إنه لم يحدث هذا في زمن الباشا، كنا مصانين أحياء وأموات، فصاح في وجهي متهما إياي بالولاء للأتراك. حينما يطلب المرء صون جسده وهو في حفرة يصبح عميلا ...!!"[1].

في هذا الفقرة نكتشف النسق المضمر التمثل في المقارنة بين الاستعمار الفرنسي و الأتراك رغم أن ابن ميار كان لا يبدي انحيازه إلى بني عثمان أمام الفرنسيين خوفا من اتهاماتهم ومعاقبته.

لم يكن ابن ميار هو الوحيد الذي أغراه حكم أتراك في الجزائر، إذ اتضح ذلك فيما جاء به الروائي فقال:" الناس في المحروسة أنواع أغلبهم كانوا يحترمون بني عثمان ويتجنبونهم يكفيهم أن مساجدهم كانت مشرعه أبوابها، وفقراءهم مكفيون، وعلمائهم محترمون، وأنهم يعيشون بأمان، وأن الجهاد معلن منذ قرون ثلاثة فإن قاتل البشوات بعضهم بعض فهذا لا يعنيهم في شيء ما دام الأمر لا يختلف عن سابق العهد ."[2]

يقول ابن ميار " غابة المحروسة منذ يومين ، ولا أرى غير امتداد الزرقة، والصورة تتجدد كل حين، يوم جلس الباشا سعيدا بالذين من حوله،... وبعد هذه السنوات يتجلى كيف كان موت يحيي بداية لانحدار المحروسة".[3] وجه الإضمار في قوله "غابة المحروسة" وهو أن ما كانت عليه المحروسة من هناء ورخاء في عهد الباشا والحالة التي كانت عليها لم تعد موجودة في وجود الفرنسيين، وأيضا هناك إضمار في قوله "المحروسة" وهي كلمة بديلة عن كلمة الجزائر فهذا النسق يستخدم في اللغة العربية بشكل شائع حيث يتم استخدام كلمة بديلة لتعويض كلمة أخرى، وذلك لأسباب لغوية أو ثقافية أو اجتماعية.

كانت نظرة ابن ميار للأتراك كنظر أغلب سكان المحروسة ،فهم يعتقدون أن الامبراطورية العثمانية تأسست على دعم دين، و الدفاع عن المسلمين، وأنها الحامي الأفضل للأديان السماوية والشعوب مسلمة وثرواتهم و تقاليدهم، وهي المسؤولة عن أمن جميع المضطهدين المسلمين.

[1] المرجع السابق، ص 50
[2] المرجع نفسه، ص 59
[3] المرجع نفسه، ص129

كما أبدا ابن ميار حسرته هو وأغلب سكان المحروسة على انسحاب الدولة العثمانية مفاجئ من الأراضي الجزائرية، وهو يثبت أن وجود الأتراك لم يكن يوما شرا ونقما على أهالي المحروسة، بل على العكس تماما كان مليئا بالبهجة والفرح والانتصار كما أشار ابن ميار في رواياتنا بأن الفضل يعود للأتراك ،في أن مدن الجزائر كجيجل وبجاية وغيرها كانوا مضطهدين من طرف السفن الإسبانية والإيطالية ولكن بفضل الإمبراطورية العثمانية وسلطتها تحررت جميع المدن بعد انضمام الجزائر تحت جناح الدولة العثمانية، التي أنشأت دولة مركزية قوية في العصر الحديث تحت اسم الدولة الجزائرية التي أقامتها ففرضت قوتها و سيطرتها على حوض البحر الأبيض المتوسط الذي أعطاها قيمة وهيبة على الأوروبيين بعدما كانوا يشكلون تهديدا لها يبحثون عن السلم والطرق السهلة لوضع علاقة جيدة مع الأسطول البحري الجزائري بعدما ألزمهم دفع ضرائب للمرور بمناطق البحر المتوسط.

2-حمى السلاوي وديبون :

على الرغم من أن هذين الشخصيتين مختلفي الجنسية، فالسيلاوي جزائري تابع للمحروسة، وديبون مراسل الحملة العسكرية الفرنسية على الجزائر مكلف بتدوين أحداث هذه الحملة، إلا أنهما اشتركا في كرههما للأتراك وكان لكل منهما رأي كشفا من خلاله عن النسق السياسي المضمر في الرواية.

أ/- حمة السيلاوي:

كان رجل يجيد اللغة العثمانية حتى السب بلغتهم كان يفهمه ليعرف ما يدور بينهم من كلام ويعرف خباياهم فكانت له وجهة نظر سيئة عن العثمانيين" يلتقي السيلاوي وميمون في كرههم لبني عثمان"[1]، وبرز ذلك أيضا عندما قال:" ولم تكف كراهيتي لهم مثل كراهية للذين لا يغادرون أوجاقهم إلا لضرائب جديدة تؤخذ منا أو لمؤامرة لقتل باشاهم "[2].

وأيضا برز كره السيلاوي للأتراك عندما دار بينه وبين ابن ميار الحديث فقال:" لم يكن كلامه يقنعني، فطالما كان متعلقا بالأتراك، وصديقا مقربا من الباشا الكبير ،لهذا اختلفنا ،أحبهم و كرهتهم ،ورجا بقائهم وتقت إلى رحيلهم... "[3]، ومن هذا الحديث نستنتج أن الأتراك لم يتسمو بالود ،فقد كان لهم معارضين كثر،وذلك لأنهم أدركوا أن الأتراك سعوا كل السعي لنهب خيرات البلاد وفرض ضرائب على سكان المحروسة و هم في بلادهم، وقمع كل من لا يخضع لسلطتهم، حتى بشواتهم يتخلصون منهم عندما يخالفون الأوامر، كما في قول السيلاوي. " منذ وعت رأيتهم يملؤون المحروسة. كانوا مختلفين عنا ،ينبهني

[1] المرجع السابق، ص 59
[2] المرجع نفسه، ص 64
[3] المرجع نفسه، ص 65

التجار أنهم مسلمون مثلنا ولم يبدى أن الأمر متعلق بالدين بل بعرقهم. بسهولة تكتشف طبع هؤلاء الأتراك كبريائهم لا حدود لها ،ميالون إلى إهانة الناس ،كانت بيوتهم أجمل من بيوتنا ومزارعهم أوسع من مزارعنا، ومفتيهم له الكلمة الأخيرة عند الباش الكبير ،بالرغم من أننا أكثر عددا "[1] الاضمار من هذا الكلام هو استغلال العثمانيون لخيرات البلاد في مصلحتهم.

هنا نستطيع أن نرى وجهة نظر الروائي عبد الوهاب عيساوي من خلال شخصية حمة السيلاوي بأن الأتراك لم يكونوا إلا غزاة، لا تهمهم إلا مصالحهم وأن هدفهم الرئيسي هو ملء خزائنهم، وليس كما كان يشاع بأنهم دولة تخدم الإسلام والمسلمين، وهذا بحد ذاته نسق مضمر، فالروائي يظهر لنا معاملة الأتراك باعتبارهم احتلال، وذلك من خلال ما عاشه السيلاوي وسكان المحروسة مع العثمانيين، فحياتهم كانت قاسية وصعبة بسبب الضرائب الثقيلة التي فرضتها السلطات العثمانية على السكان المحليين وفرض الخدمة العسكرية الإجبارية على الرجال الجزائريين، والتي استمرت لفترات طويلة، وكانت تتسبب في الفقر والمعاناة للعديد من الأسر الجزائرية لغياب الرجال لفترات طويلة عن أبنائهم ،حتى أن نظامهم كان يعتمد على نظام الاستغلال والتحكم الاقتصادي في الموارد والثروات الطبيعية في المنطقة بما في ذلك المحروسة، على الرغم من الشراكة بين الحكومة العثمانية والأهالي المحليين إلا أن هذا النظام كان يحمي مصالح الأتراك فقط، ويتيح لهم السيطرة على الموارد المحلية والاستفادة منها بينما كان يتيح للمحليين الحفاظ على جزء من الموارد والاستفادة منها في مصلحتهم الخاصة.

ب/- ديبون:

كان ديبون الصحفي الفرنسي ضد الوجود العثماني في الجزائر و منزعجا من استغلالهم لهذه الأرض، وطالما اعتبرهم بأنهم قراصنة لا يهمهم إلا مصالحهم الشخصية، ولهذا دعم الحركة العسكرية الفرنسية المتجهة للجزائر ظنا منه أن هدفها هو تحرير الجزائر من الأتراك إلا أنه انصدم من أطماع الفرنسيين وتعاملهم بعد فك الجزائر من السلطة التركية ،فكان له رأي اتجاه التواجد العثماني ،وأيضا اتجاه الاستعمار الفرنسي. هذا وقد استعمل الروائي عيساوي شخصية ديبون ليسوق لنا من خلالها نسقا مضمرا، وهي صورة الأتراك الحقيقية على أنهم غزاة.

يرى ديبون أن الجزائريين كانوا مجرد خدم يعملون في الأراضي التي استحوذت عليها الامبراطورية العثمانية، ووفقا لرواية قد تعرض سكان المحروسة لقمع و اضطهاد حتى أصبحوا مواطنين من الدرجة

[1] المرجع السابق، ص 66

الثالثة في بلادهم، وربما كان هذا سببا وجيها لفرنسا لشن حملة ضد الأتراك لتخليص وتحرير الجزائر من الجرائم التركية ،بحكمهم الجزائر بأنفسهم ،فهم يقولون أن الشعوب العربية والإفريقية لا تستطيع تنظيم حياتهم بأنفسهم ،بل لهم دائما سيد يوجه حياتهم من أجلهم.يقال ديبون: "الأتراك فقط من يمتلك كل شيء. أما العرب لم يكون إلا عمال في مزارعهم، ولكنه عندما رأى ما فعله الفرنسيون بالجزائر باعتباره مراسل الحملة الفرنسية ضد الجزائر، حتى أنه أيد الحكم العثماني على الحكم الفرنسي داخل الأراضي الجزائرية فيقول: فركت عيني غير مصدق لما أراه. أ فعلا هذه هي المدينة التي حدثونا عنها. ورسموا الصورة المخفية لها؟ أهذا هو الجحيم الذي أخاف أوروبا قرونا ثلاثة؟ تخيلتها مثل فوهة بركان أو ثكنة رمادية الجدران. وإذ بي أفاجأ بمدينة جميلة لم أصدق أنني كنت أراها بذلك الشكل، والصورة لم تطابق ما قيل عنها، هل هو وهم أخر قد عشته؟ قد أوهموا الجميع بتلك القصص عن الجحيم في مدينة القراصنة. نرى هنا نسقا مضمرا تمثل في قوله مدينة القراصنة وهو صورة للمحروسة الجزائر أثناء حكم الأتراك فيها، وهذا دليل آخر من الروائي على أن الأتراك لم يكونوا إلا قراصنة"[1] .

3-كافيار:

كان كافيار أحقد الناس على الأتراك لأنه كان أسيرا لهم ،ثم عاد ليكون مهندسا للحملة العسكرية ضدهم في الأراضي الجزائرية ،بعد فراره من أسرهم ،وهو يحمل في ثناياه حقدا كبيرا اتجاه الأتراك فيقول:" ثم أسرني الأتراك متقززين مني ،صيروني عبدا وقد كنت قائدا على كتيبتي..."[2]

يقول كافيار وهو يبدي نظرته للأتراك: "يفضل ديبون المور على الأتراك غير أنني أجدهم سواء ،لأن مقدار الطمع الذي يحمله الأتراك يحمله المور خبثا... الأتراك طماعون و جشعون ،يحبون المال والسلطان أكثر من أي شيء حتى من أولادهم..."[3]

" .هؤلاء الأتراك المحمديون كانوا يأخذون أموالنا ثم يستعبدوننا، هذا إن لم نقتل، ثم يقولون إن الله يأمرهم بذلك هذا هو الرب الذي صار يؤمن به الجميع في أوروبا أو إفريقيا"[4]، وعلى هذا يسوق لنا عيساوي نسقا مضمرا في هذه الفقرة أن الأتراك كانوا بعيدين عن الدين الإسلامي حتى أنهم شوهوا صورته بجشعهم وطمعهم .

[1] ينظر، عبد الوهاب عيساوي، الديوان الإسبرطي ص 187 و 188
[2] المرجع نفسه، ص 31
[3] المرجع نفسه، ص 33
[4] الرواية، ص 41

استطاع الروائي عبد الوهاب تجسيد مرحلة مهمة من تاريخ الجزائر تحت ظل الحكم العثماني، الذي لم يكن سوى حكم غزاة، فرضوا الضرائب، ونهبوا الخزائن، إلا أنهم لم يكونوا بحدة و قساوة الاستعمار و الهيمنة الفرنسية التي تجلت كنسق مضمر في الرواية وهو ما سنبينه في العنصر الآتي:

2-1 الهيمنة والاحتلال الفرنسي :

كان هناك العديد من الدوافع و الأسباب التي جعلت فرنسا تحتل الأراضي الجزائرية وتعلن الحرب ضدها، ولعل من أهم هذه الأسباب ما سنراه:

أ/- حادثة المروحة :

جعل الروائي عبد الوهاب عيساوي هذه الحادثة في صورة غلاف روايته الخارجي لتعطينا صورة عن المضمون المضمر لهذه الرواية. وقعت هذه الحادثة سنة 29 أبريل 1827 في قصر الداي حسين، إذ جاء القنصل الفرنسي بيار دوفال، فدخل على الداي فواجهه الداي بقضية الديون التي على عاتق فرنسا بعد دعم الحكومة الجزائرية لفرنسا بالحبوب بعد العزلة التي فرضت عليها من الدول الأوروبية بسبب إعلانها لمبادئ الثورة الفرنسية وحقوق الإنسان، حيث قدرت هذه الديون ب 24 مليون فرنك فرنسي، إلا أن القنصل الفرنسي تطاول على الداي حسين واستصغره في قصره بعدما قال:" إن حكومتي لا تتنازل لإجابة رجل مثلكم"، فاستكبر القنصل الفرنسي مما أغضب الداي فلوح في وجهه بالمروحة ،وهناك من يقول أنه ضربه بها، وقام بطرده أيضا.

على إثر هذا قامت الحكومة الفرنسية بشن حصار على الجزائر لرد الاعتبار لقنصلها وحكومتها سنة 1828 لمدة ستة أشهر، وبعدها قامت الحكومة الفرنسية بطرد السفير الجزائري وإعلانها الحرب على الدولة العثمانية التي كانت تحكم الجزائر .طبعا كانت حجة الفرنسيين سخيفة ،فهم يرون أن شن الحرب ضد الجزائر هو السبيل للتخلص من الديون ،ثم إنهم طامعين في خزينة الإيالة ، ورغبتهم في احتلال شمال إفريقيا حيث أن هذه الدوافع والرغبات والطمع من الفرنسيين لم تكن غائبة ، بل كانوا من البداية يضعون عيونهم على الإيالة الجزائرية وهم يراقبون الأحداث وينتظرون الفرصة ، حتى بلغهم ذلك بهذه الحجة ثم زاد إصرارهم عند ضعف الإيالة الجزائرية حتى أنها سميت بالرجل المريض ، فخرجت فرنسا متخذة حادثة المروحة كذريعة لإزالة الستار حول غايتهم الحقيقية ورغباتهم من البداية في احتلال الجزائر، فشنت فرنسا حربا عنيفة ضد الجزائر، وتمكنت في النهاية من السيطرة عليها ،حيث أنشأة

مستعمرة فرنسية في الجزائر ،فاستمر هذا الاستعمار 130 سنة[1]. أذن النسق المضمر من حادثة المروحة هو إبراز وجه فرنسا الاستعماري المخادع.

ب/- الحملة العسكرية الفرنسية على الجزائر:

بعد الهزائم النابليونية وآخرها معركة نابليون في واترلو التي كانت سببا في موته "وأنا الذي ذقت من الهزائم ما يكفيني واترلو قسمت ظهري"[2]. تعتبر هذه العبارة نسقا تاريخيا مضمرا لوحدها عندما قال الروائي: واترلو قسمت ظهري هنا الصورة المضمرة هي أن هذه العبارة دلالة مضمرة على معركة نابليون في واترلو التي انهزم فيها وكانت آخر معركة له فيها، واتضح ذلك في الرواية حيث جاء على لسان الراوي: "بعد أيام الاختباء سمعت أن نابليون سلم نفسه للإنجليز.... وقد توفي نابليون بعد هذه المعركة ولو لم يمت مبكرا لانتظرت انبعاثه من جديد... "[3].كانت وفاة نابليون مرحلة رأى فيها الفرنسيين الإلهام لإعادة بناء أنفسهم وكان أفضل مكان لنسيان إخفاقهم هي الأرض المحروسة التي تعاقبت عليها الحضارات. فبدأ الفرنسيون في تحضير حملة عسكرية على الجزائر وهذه كانت أحد أحلام نابليون التي دفنت معه، إذ من الغريب أن من حملها هو خائن لمعركة واترلو في نظر الفرنسيين وهو بورمون" بورمون ... كان من الذين خانوا والآن يعود ليحقق حلم نابليون باحتلال إفريقيا..."[4]، هذا في حد ذاته نسق مضمر والإضمار في هذه العبارة هو السخرية والاستهزاء بقرار الملك بإعطاء الحملة لشخص خائن مثل بورمون.

جاءت حادثة المروحة كسبب احتجت به فرنسا على شرفها الذي خدش. وهم الذين لم يكترثوا لهذه الحادثة إلا بعد أشهر وظهر هذا الأمر حينما سأل مراسل الحملة ديبون وهو في وسط الحشد المجتمع في شوارع فرنسا لدعم قادتهم و تحفيزهم، فسأل العابرين عن الأتراك وأسباب الحملة عليهم وهم الذين كانوا متشبثين بها، لأنهم لا يجدون ذريعة غيرها لشن حملتهم فقالوا : "قد أهين شرف الفرنسيين حينما ضرب القنصل بمروحية الباشا."[5]

ومن هنا بدأ التحضير للحملة وأسندت المهام والخطط وتجهز الفرنسيون لغزو المحروسة بالكثير من السفن وأعداد كبيرة من الجنود.

---

[1] نوار كتاو، موقع: عربي بوست، مقال في"حادثة المروحة"، أفريل 2019

[2] عبد الوهاب عيساوي ،ديوان الإسبارطي، ص 31

[3] الرواية، ص 31

[4] المرجع نفسه، ص 95

[5] الرواية ،ص 103

وصل الخبر إلى الجزائريين والأتراك فبدى على الجزائريون الخوف على محروستهم ،فكان هذا ما صوره الروائي عبد الوهاب العيساوي بشخصية حمة السيلاوي وهو أحد المحضرين لحملة الدفاع عن المحروسة في الضفة الغربية ناحية سيدي فرج ،أين وضعت الخيام وأقيم المعسكر هناك تأهبا لموجهة الفرنسيين.

يقول الراوي حمة السيلاوي: "خيموا قبلنا وهاجمنا قبلهم. في سيدي فرج..."[1]،هذه أيضا دلالة نسقية مضمرة أخرى تضاف للاحتلال، وفي الوقت نفسه لتهاون الأتراك في حماية المحروسة، فالاضمار هنا في ما قاله حمة السيلاوي : هو أن الأتراك كانوا أقل حرصا على مصير المحروسة من أبناءها فلم يهتموا كما يجب ولم يكترثوا بما سيقع للمحروسة.

وما إن لحق الجنود الفرنسيون إلى سدي فرج بأعدادهم الهائلة حتى ذعر الحاضرون وبدى الخوف عليهم إذ اتضح ذلك في الرواية في قول الراوي : "وقف الآغا ابراهيم غير بعيد مني قدرت من ملامحه أنه لم يكن أقل خوفا من البقية. يداه ترتجفان وهو يمسك بلجام حصانه. ربما كان يريد أن يضربه ليفر به بعيدا عن السهل"[2]. وما إن تأهبوا وثبتوا أحصنهم بدأ إطلاق النار من الجهتين "فقفزت في أعقبهم لأبلغ مسافة الرمي...، ورغم مدى رمي بنادقهم القصيرة لكنها كانت أسرع في الشحن...،إلا أنه سرعان ما بدأ التلاحم القربب بالسيوف بعدما فرغت الجيوب من الرصاص ...،ثم التفت وتراما لي مزيج الألوان والأجساد، كان الجيشان قد تلاحما . العربان يقاتلون بطرقة لا نظير لها ، حينما تفرغ الجيوب من الرصاص يسلو سيوفهم...، فتظهر هنا أيضا صورة مضمرة في قوله : ترامى لي مزيج من الألوان و الأجساد، فالإضمار هنا هو الصورة المجازية التي صورها عبد الوهاب عيساوي إذ يقصد أن الجيشين قد نفذت ذخائرهم فتقدموا و اختلطوا ليكون الصراع عن قريب بالسيوف. إلا أنهم أضحوا يسقطون الواحد تلوى الآخر فهزموا، "وقلبي ازاد اهتزازا كلما تذكرت أننا هزمنا "[3].

بعد الهزيمة سلم الأتراك المحروسة للفرنسين ،فظهر ذلك في الرواية حينما دار حديث بين السيلاوي الجريح إثر الحرب والشيخ الذي أسعفه :

- والمحروسة ؟هل من أخبار عنها؟

[1] المرجع السابق، ص 145
[2] المرجع نفسه، ص 148
[3] ينظر، الرواية، ص من 148 إلى 151

- للأسف ،سلمها الأتراك للفرنسين.[1]

تعتبر رواية الديوان الإسبرطي رواية تاريخية، وكان ذلك وضحا من واجهة غلافها الأول الذي تظهر فيه الصورة معبرة عن حدث تاريخي مهم في تاريخ الجزائر ألا وهو حادثة المروحة، فهذه في حد ذاتها صورة نسقية مضمرة تجعل من القارئ يضع تصورات نمطية لوقائع وأحداث تاريخية تؤرخ لسبب أو الذريعة التي اتخذتها فرنسا لاحتلال الجزائر.

ثم وضع الروائي عبد الوهاب عنوانا مناسبا يجسد بنية النص لن تفهمه إلا إذا قرأت الرواية بتمعن ،لأن العنوان في حد ذاته نسق مضمر فما يحيله لنا مصطلح إسبرطة هو ما نعرفه بأنها مدينة قديمة في اليونان ،ومن أهم مدنها، اشتهرت بكونها محافظة عسكرية قوية، إلا أن عبد الوهاب عيساوي كان يقصد المحروسة كما يسميها السيلاوي، التي كان يحكمها العثمانيون لأنهم كانوا أمة لا تقوم إلا على السلاح مثلهم مثل اليونانيين. فكانت هذه الصورة الكاشفة للنسق المضمرة الذي يبين وجه الشبه بين إسبرطة اليونانية وإسبرطة الجزائرية.

أما عن مضمون الرواية وما جاء به عبد الوهاب عيساوي، فكان جملة من الحقائق التاريخية تصرف فيها بإبداع ،فهو يقدم لنا وضع أو حدث ما ثم يذهب إلى تاريخ آخر فيسرد واقعه ليعود مجددا إلى سرده الأول متلاعبا بالشخصيات التي اعتمدها لتضيف إلى تلك النقلة التاريخية للأحداث جمالا وإبداعا يجعل من القارئ مركزا وحذرا من ضياعه داخل متن الرواية، لأن" النص التاريخي يقدم سردا عارفا بكلية عالمه الحكائي ،فهو يقدم ويؤخر لأوضاع الحكاية حسبما تقتضيه الإحاطة التاريخية بعناصر الواقعة لتحقيق إشباع سردي مقنع بالنسبة للقارئ" .[2]

[1] الرواية، ص 152

[2] عبد السلام المون ،الرواية و التاريخ ،دار الكاتب الحديدة المتحددة ،ليبيا ،هذا ،2010 ،ص 102

2/-الجشع و اللا إنسانية:

رواية الديوان الإسبرطي هي رواية لا تخلو من الدلالات السياسية تشمل هذه الدلالات أحداث ووقائع جرت في الجزائر المحروسة إثر التواجد العثماني ،وبعده مجيء الاستعمار الفرنسي ،حيث ناقش الروائي مجموعة من القضايا السياسية التعسفية المتعلقة بالسلطة العثمانية ،و ما فرضته على سكان المحروسة من ضرائب، وأمور سياسية تعسفية واستنزاف لخيرات البلاد واستغلالها. ثم ظهور المستعمر الفرنسي بعد أحداث وظروف ليتواجد هو الآخر في الأراضي الجزائرية ليكون أكثر وحشية من الأتراك منتهكين وظالمين ومتعديين على حياة سكان المحروسة وغيرها من المدن الجزائرية والإفريقية حيث كانوا أكثر قساوة ،فالعثمانيين كانت لهم غايات استغلال الخيرات المنطقة ،ولكن المستعمر الفرنسي فعل أمور لا تمث للإنسانية بصلة بقتل وتعذيب وتدمير ومجازر وحشية ،وهذا ما فجر قريحة عبد الوهاب عيساوي فجسم لنا مجريات هذه القساوة والظلم وفظاعة المحتل وفضح أهداف التي تستر عنها الفرنسيون بمحاولتهم لطمس أمة بأكملها ،حتى أنهم كانوا ينتشلون العظام الجزائرية من القبور للتجارة بها .

يمكننا أن نرى مدى تأثر الروائي عبد الوهاب و ألمه وحزنه جراء هذه القضية ،إذ جسمها ووضعها في مقدمة روايته ليسردها على لسان الصحفي الفرنسي ومراسل الحملة الفرنسية على الجزائر كما وقد أخذناها كتعبير عن نسق مضمر تمثل في الجشع و اللا إنسانية الذي نرصده فيما يأتي :

-التجارة بالعظام:

كيف للإنسان أن يكون بهذه الفظاعة ،كيف للإنسان أن يتاجر بعظام أخيه وبني جنسه هذا ما كان يدور في رأس المراسل الفرنسي ديبون وهو يشعر بالعار الذي كان يلحق بالفرنسيين والحالة التي وصلوا إليه ورغبتهم في اغتصاب حتى حرمة الميت ،وهذا دليل على شناعة أفعالهم ووحشيتهم وطمعهم ،فهم كانوا يعبدون المال مما أوصلهم إلى حفر القبور وانتشال العظام منها قصد التجارة بها ،"فمنذ البداية اهتمت بالمال وكل السبل التي تؤدي إليه ولم تكن مرسيليا إلا ميناء تجاريا تحدث به أشياء غامضة تتعلق بالتجارة ،اتهامات كانت تشير إلى مخازن السفن ،وشائعات عن تورط الأسطول في تجارات ممنوعة. ولم يبدو لنا نحن الصحفيين إلا القليل، فحينما تريد السلطة والمال صناعة رأي ما فإنه ليس أسهل من ذلك"[1].

[1] عبد الوهاب عيساوي ،الديوان الإسبرطي ،ص 95

حتى الآن ديبون المراسل والصحفي لم يتأكد من الأمر بعد ،فهو كباقي الصحفيين لم يصله عن هذه التجارة الكثير ،فتصرف الروائي عبد الوهاب عيساوي في مطلع روايته ليسرد لنا القصة من وراء هذه التجارة وكيف تأكد ديبون من تورط الأسطول الفرنسيين بهذا الأمر ،فيقول عيساوي على لسان ديبون ، الذي دخل على مدير الصحافة وهو من وكله بمهمة البحث في هذه القضية، التي بدأت عندما صاحب الطبيب نحو الباخرة القادمة من الجزائر باسم "بون جوزيفين"، فأخذ ديبون بأوامر المدير وذهب إلى الطبيب فعرف نفسه ،ثم دار بينهما حوار عن مسألة السفينة :

تأملني الطبيب مليا ثم قال :

-يقال إن الباخرة تحل عظاما بشرية ؟

-أهي لجنود أوصوا بذلك ؟

-لا،بل لمصانع السكر.يقال أنها تستعمل لتبييضه.[1]

فذهل الصحفي ديبون وكانت هذه أول إجابة عن سؤال من تساؤلاته ألا وهي ما الغرض من جلب هذه العظام.

على الرغم من أن الصحفي فرنسي الجنسية إلا أنه لم يرد تصديق هذه االمسألة وهو خائف من وزر هذا العار لأن ضميره وإنسانيته لم تسعفه لتصور هذا المشهد فقال : "أريد إقناع نفسي بأن لا أثر في هذه الإشاعات ولكن الضمير يحتم علي المعاينة أنا خائف من وزر هذا العار"[2].

صحيح أن لكل أمة مسألة إنسانية وأخطاء ارتكبوها سواءا في حق بلادهم أو خارجها إلا أن ديبون لم يرى مصوغ لهذه الفعلة لشناعتها ،فيقول :" ولكن أي شيء يبرر بيع عظام أمة أخرى وبدعوة مثل التي تشاع"[3]، فراح يعاين هذه الصورة في رأسه وهو متجه إلى الميناء برفقة الطبيب حتى وصل، وها هي السفينة تقترب لترسو على حافة الميناء. وكل ذلك الترقب والاندفاع وتلك الشكوك ستزول بعد تفقد هذه السفينة. هاهي ذي السفينة قد لحقت حتى إجراءات الطبيب مع قبطان السفينة قد تمت للسماح لهما بصعودها.

[1] عبد الوهاب عيساوي، الديوان الإسبرطي، ص 16
[2] الرواية، ص 17
[3] الرواية، ص 17

فأشار قبطان السفينة لأحد البحار بمصاحبة الطبيب والصحفي ديبون لإنزالهما أسفل السفينة حتى يتفقدا الصناديق لاكتشاف أمر الشائعات وحسم القضية. ها قد حصل ما كان يخشاه ديبون من العار قد أصبح حقيقة أمامه فور فتحهم الصناديق المخزنة أسفل السفينة المحملة بعظام بشرية تعود لأبناء الجزائر المحتلة،إذ قال عيساوي : "رفع الطبيب الغطاء بهدوء وأزال كومة القش أعلاها،تأملها مليا ثم أغلقها،كانت عينا الطبيب تحدق في كومة العظام أمامه .... بدت من أول وهلة أنها فك إنسان ، وضعها وشرع يخرج العظام تلو الأخرى حتى أتى على الصناديق كلها...افترش الأرض وأشار إلى أقرب العظام إليه : هذه ساق طفل لا يتجاوز العاشرة ،والأخرى تبدو لشاب ،وهذه ... أتراها يا سيد ديبون؟ إنها لشيخ أعرفها من انحناءاتها...ومد يده فعادت بجمجمة صغيرةما تزال تحمل لحما على جوانبها، تعفن وحال إلى السواد"[1]. أحيط ديبون بالأمر الواقع حينما يتذكر عما كان يكتبه وهو يمجد لانتصارات قائده العظيم معتقدا أنه كان ناصرا للقضية الجزائرية ، فتصورت في ذهنه في تلك اللحظة بشاعة وعدوان الحكام الفرسيين وغياب الإنساني لديهم ،ومدى حقدهم ومكرهم ،حتى أنهم لم يتركوا الميت يرقد في سلام محاولين محو أي أثر لما هو جزائري، حتى سبب دخولهم واحتلاهم هذه البلاد في حادثة المرحة كان بسب البشا التركي فما ذنبهم من هذا كله. لكن طمعهم وجشعهم كان الدافع وراء اللانسانية لذيهم فهم يبحثون عن سبل للمال وبأي طريقة، إذ أشار إلى ذلك الراوي قائلا : "إن المال إله جديد ،يغريك كي تحفر القبور وتأكل عظام إخوتك بدعوى كثيرة ..."[2].

في هذه العبارة نسق مضمر عن صورة الجشع و حب المال فقد صورهم الروائي عيساوي في صورة الإله الذي يأمر هؤلاء المجرمين لحفر القبور وانتشال الجثث وانجاز وتنفيذ كل أوامره مصوغين لجرائمه بحجة أنهم مجرد عبيد ينفذون أوامرا إلهية لإرضاء إلههم المزعوم.

نعود إلى ديبون فبعدما رآه هو و الطبيب ،كتب الطبيب تقريره وسلمه لديبون " فما إن وقفت عند باب مبنى الجريدة حتى كان الحوذي بنفسه ينادي باسمي ويسلمني تقرير الطبيب ، في مكتبي قرأته ،لم يكن تقريرا طبيا بقدر ما كان احتجاجا تجاه ما حدث[3] ".

ثم كتب ديبون مقاله وسلمه لمحرر وتهافت الناس على هذه النسخ وكل من يقرأه يفزع مسرعا للميناء كل ما كان يدور في مخيلة الصحفي هي كيف ستكون ردة فعلهم إذ قال وهو مستفسر "بالأمس الكل ينتفض

[1] ينظر، عبد الوهاب عيساوي ،الديوان الإسبرطي ،ص 21

[2] الرواية، ص 17

[3] الرواية، ص 23

من أجل سمعة هذه الأمة العظيمة حين أهين قنصلها (هنا يتحدث عن ردة فعل الفرنسيين اتجاه الجزائر في حادثة المروحة) ، واليوم هل تراهم ينتفضون من أجل الشيء نفسه...بعض الهزائم تبدوا انتصارات في قلوب التي أظلمت بالخطيئة ،وبعض الانتصارات تجلت الخيبة لحامليها "[1] . هنا في هذه العبارة صيغة مضمرة ففي قوله " بعض الهزائم تبدوا انتصار" يقصد معركة واترلو رغم الهزيمة ، إلا أن الفرنسيين دعموا جيوشهم لأن قضيتهم كانت هادفة ثم عاود قائلا : وبعض الانتصارات تجلب الخيبة لحامليها " هنا كان يقصد أن الفرنسيين رغم إطاحتهم بالأتراك وغزوهم الجزائر بنجاح إلا أن خيبة الأمل كانت من وحشية الاستعمار وما فعله في السكان الجزائريين والمحروسة خاصة.

واصل ديبون السير وسط الحشد المتجه نحو الميناء لزيارة السفينة التي جلبت هذه الصناديق وهم يدركون أنها مازالت موجودة ولم تقلع بعد، وذلك بسب قوانين الحظر الصحي. "كانوا يدركون أن قوانين الحظر الصحي مازالت سارية"[2]،وفور وصولهم رأى ديبون الطبيب متواجد وسط الحشد فدار بينهما حديث كان كالآتي :

- لن ينتهي الأمر عند هذا الحد يا ديبون ، ولن تتوقف تجارة العظام كن متيقنا من هذا.

- ديبون : ولم هذا اليقين؟

- انظر إلى الرصيف قد أضحى خاويا من البشر ، هؤلاء يجمعهم الفضول وتفرقه الحقيقة[3]، حتى التجار لا يستطيعون التوقف فقد غرتهم الأموال، إذ قال الراوي عن هذا " و هاهم حينما بدأت الأموال تنضب التفتوا إلى مقابرنا...يفتشون عما تبقى من عظام أطفالنا وشيوخنا... يحملونها في أكياس إلى الميناء... في زمن الباشا كنا مصانين أحياءا وأمواتا"[4] .

في هذه العبارة مقاربة مضمرة يقارن فيها الراوي حياة سكان المحروسة أثناء الحكم العثماني وما يجري الآن معهم من المستعمر الفرنسي.

[1] عبد الوهاب عيساوي، الديوان الإسبرطي، ص 24
[2] الرواية، ص 24
[3] الرواية، ص 25
[4] الرواية ،ص 51

يضيف أيضا الروائي عيساوي معبرا عن جشع الفرنسيين :" منذ البداية اهتمت بالمال وكل السبل التي تؤدي إليه. ولم تكن مرسيليا إلا ميناءا تجاري تحدث به أشياء غامضة تتعلق بالتجارة ... تورط الأسطول في تجارات ممنوعة ..."[1] .

هذه هي الصورة التي استعملها عد الوهاب عيساوي محاولا كشف زيف وادعاء الاستعمار وجشعه متسمة بشخصية وضعها الروائي باسم "كافيار" تروي لنا حقيقة أهداف الفرنسين وأطماعهم المتسترة تحت صورة الاستعمار الذي ادعى أنه ينقل الحضارة، ويدافع عن الحريات ،ثم يأتينا عيساوي بشخصية "ديبون" والطبيب ،فعلى الرغم من كونهما فرنسيين إلا أنهما لم يرضوا على ما يحدث لسكان المحروسة، فخرجت قضية تجارة العظام من الرجلين الفرنسيين ديبون والطبيب وذلك لحملهما مسؤولية التحقيق في هذه القضية، ثم تنقلهما إلى السفينة التجارية المتهمة بجلبها عظام من جثث جزائرية وكشفهما لحقائق المتسترة، ومحاولة ديبون لكشف هذه التجارة. هذه القضية في حد ذاتها نسق مضمر إذ حاول عيساوي فضحها حيث أنه انتشل هذه المسألة من جديد وجسمها في مطلع روايته وأعطاها الكثير من الصفحات ووضع لها تصويرا جماليا ليلفت لهذه القضية الانتباه ويحييها من جديد لأن الفرنسين إلى يومنا هذا مازالو يحتفظون ببعض الجماجم.

[1] الرواية ،ص 95

المبحث الثاني : النسق الثقافي المضمر

يعكس النسق الثقافي الطريقة التي يتفاعل بها الأفراد في المجتمع مع بعضهم البعض ، ومع العالم من حولهم ويتشكل هذا النسق الثقافي من خلال التراث التاريخي والتقاليد والقيم الدينية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية والتكنولوجية والجغرافية والتعليمية وغيرها من العوامل التي تؤثر في تكوين الثقافة وشخصية وهوية الفرد والمجتمع ، يشمل هذا التكوين الثقافي عدة عناصر مهمة مثل اللغة والتواصل والفنون والآداب والموسيقى والعادات الاجتماعية والتقاليد والمظاهر التعبيرية والمعتقدات الدينية والأخلاقية والقيم الأسرية والعلمية والتكنولوجية والاقتصادية والسياسية.[1]

1/-الهوية :

الهوية هي مجموعة الصفات والخصائص الفريدة التي تحدد شخصية الفرد وتميزه عن الآخرين، تشمل الهوية مجموعة من العوامل المختلفة مثل: الجنس، العرق، الدين، الثقافة، التوجه الجنسي، القيم، الاعتقادات، الأهداف والتجارب الحياتية، إنها تشكل تشكيلة فريدة وشخصية لكل فرد، وتؤثر على طريقة تفكيره وسلوكه وتفاعله مع العالم من حوله[2].

يعكس عبد الوهاب عيساوي في روايته الديوان الإسبرطي أربع هويات وهي الهوية الجزائرية والتركية والفرنسية واليهودية ، وبما تميزه كل واحدة وكيف تأسست وعلى ماذا اعتمدت بطريقة مضمرة، إذ أنه أثناء سرده لأحداث ووقائع هذه المرحلة التاريخية ، يجسد لنا ما لمسناه في الرواية "الديوان الإسبرطي"، من إنتاج فكري وإبداعي من عبد الوهاب لمظاهر الثقافة الغربية والعربية والتركية واليهودية التي اجتمعت لتشكل لنا هويات متعددة، كل واحدة منها شكلت خطابا جسدته شخصية من شخصيات الرواية أو بالأحرى جسده راوي من الرواة في الواية، فكان ما استنبطناه من الرواية كالآتي:

1-1الهوية الجزائرية:

الهوية الجزائرية هي مجموعة الصفات والخصائص التي تميز الشعب الجزائري وتحدد شخصيته وهويته الوطنية، تتأثر الهوية الجزائرية بالعديد من العوامل التاريخية والثقافية والاجتماعية التي شكلت تجربة

[1] رامي أبو شهاب، مقالة "في مفهوم النسق الثقافي"، جريدة القدس العربي، يوليو 2016

[2] محمد أبو خليف، مقال حول " تعريف الهوية "، مارس 2021

الشعب الجزائري على مر العصور[1]. هذا ما أبانه عيساوي في شخصية حمة السيلاوي الرجل الذي أظهر رغبته في الحرية ورفض الاستعمار، ورفض كل تواجد أجنبي يقود الجزائر سواء كان تركيا أم فرنسيا. الرغم من تعايش الكثير من الجزائريين مع الأتراك وتقبلهم لهم إلا أنه لم يقبلهم يوما، ولطالما كانت له مواقف معهم جعلت منه يتعلم لغتهم، لكن السيلاوي ينتقد كل شيء حوله، يتكلم العثمانية مثل بني عثمان، ويصر على حفظ الكلمات البذيئة فيها[2]، وهذا دليل على رفضه أي نوع من أنواع الحكم والاحتلال، فهو يرى أن الأتراك غزاة غزو بلاده، فجسدت مواقفه عن هيبة وشخصية الرجل الجزائري.

فعبرت مواقفه عن نسق مضمر متعلق بصراع الهوية الذي يجسده هذا الرفض للهوية التركية وللتواجد التركي في الجزائر واعتبار الوجود التركي وجودا استعماريا مثله مثل التواجد الفرنسي الذي حاول طمس الشخصية الجزائرية و الثقافة الجزائرية.

تاريخ الجزائر المعقد والمتنوع يعكس تأثيره الكبير على الهوية الجزائرية، فمثلا الاستعمار الفرنسي الذي استمر لعقود طويلة والثورة التحريرية الناجحة في القرن العشرين، كانت لها تأثير كبير في تشكيل وتعزيز الهوية الوطنية الجزائرية، كما تشمل أيضا هذه الهوية التراث الثقافي العربي والأمازيغي الذي يمتد لآلاف السنين ويعكس تعددية الهويات داخل الجزائر لاختلاف الحضارات التي تعاقبت عليها إلا أن القوة الشخصية والهيبة وعدم الخوف وحرارة الرجل الجزائري شيء مشترك عند كل أفرادها " يومها كان السلاوي يقذف سبابه غير عابئ بجنود اليولديش، يسخر منهم".[3]

هذا الوصف من الراوي دليل على قوة شخصية رجل من رجال المحروسة لا يبدي إخضاعه وخوفه من عساكر اليولديش وأسلحتهم، ولا من الجنود الفرنسيين.

يقول أيضا السيلاوي: " كان الجنديان الفرنسيان ينظران إلي في ريبة، ولم يجرؤوا على إتباعي خوفا، إذ مازالت الأودية تعج بالثوار"[4].

تتميز هوية الرجل الجزائري بشجاعته ومقاومته كل أنواع الاستعمار وكان ذلك باديا في رواية عبد الوهاب عيساوي، حاول أن يشير إلى هذه الشجاعة التي تتصف بها الشخصية الجزائرية من خلال شخصية السيلاوي، الذي يخفي الروائي عبره أنساق مضمرة تحيل على افتخار الروائي بهويته الجزائرية وانتمائه

[1] ياسر الغرباوي، مقالة حول"الهوية الجزائرية"، أغسطس 2017

[2] عبد الوهاب عيسواوي، الديوان الإسبرطي، ص52.

[3] المرجع نفسه، ص51.

[4] المرجع نفسه، ص 64.

لهذا الكيان، إذ ذكر هذا أيضا أثناء حديثه عن حمة السيلاوي قائلا "ولكنهم مع ذلك كانوا معجبين بالشجاعة التي تواجه بها الأتراك "[1].

على الرغم من تعاقب العديد من الحضارات واحتلال فرنسا للجزائر الذي لم يكن عفويا واعتباطيا، وإنما كان مقصودا و مخططا له منذ تصدع العلاقات الجزائرية التركي، وتتبعا لأحداث ما جاء في رواية عبد الوهاب من حملات التغلغل الاستعماري في عمق المجتمع الجزائري، سنلاحظ أن السياسة الاستعمارية الفرنسية سعت منذ دخولها وبشتى الوسائل إلى طمس الهوية الجزائرية واخراج الجزائري من كل القيم التي كونت شخصيته على مدى قرون ، وبالتالي اعتبرت مسألة الهوية الجزائرية مبدأ أساسي في مقاومة الاستعمار الفرنسي الذي لم يدخر جهدا بشتى أنواع وأساليب القذارة لمحو كل ما هو جزائري ، إذ وصل بهم الأمر لانتشال العظام من المقابر وكان هذا هو الهدف المخفي والصورة المضمرة وراء تجارة العظام، مع كل هذا وعلى الرغم من دأب الفرنسيين طوال 130 سنة من الاحتلال والسعي لطمس الهوية الجزائرية ومسخها ثقافيا ولغويا وعرقيا وتاريخيا ودينيا أيضا إلا أن قوة وشجاعة وعزيمة الرجل الجزائري وتمسكه بعقيدته وثقافته جعل منه ثائر لاسترجاع سيادته والحفاظ على هويته وسلطته، ومع ذلك يجب ملاحظة أن الهوية الجزائرية ليست موحدة بشكل مطلق، فهناك تنوع وتعدد في التجارب والمعتقدات والثقافات داخل الجزائر، إذ يمكن أيضا أن تتأثر الهوية الجزائرية بالعوامل السياسية والاجتماعية والاختلاط بالحضارات، وفترة التعايش مع الأتراك وطول مكوث المستعمر الفرنسي في الجزائر قد أدى إلى فقدان الاتزان داخل الجزائر، مما جعل من الحكومة الجزائرية تعيد هيكلة شؤونها وضبط هويتها، فكانت البداية باللغة العربية فاعتبرت اللغة الرسمية في الجزائر وتعد جزءا هاما من الهوية الجزائرية. فرفع شعار التعريب لضرورة إعادة بناء البلاد، وأيضا التمسك بالدين الإسلامي بوضع زوايا ومساجد للتعليم وذلك لتفشي قيم التسامح والعدالة والتعاون بين الأفراد والمجتمعات.

2-1الهوية التركية :

الهوية التركية هو مفهوم يشير إلى الهوية الثقافية والفكرية والوطنية للذين ينتمون إلى تركيا سواء كانوا تركيين أو أشخاص ذو أصول تركية يعيشون في الخارج. تركيا هي دولة تقع في جنوب شرق أوروبا وشمال غرب آسيا.[2]

[1] المرجع السابق، ص 65.

[2] جعفر دندل، مقال حول " موضوع تعبير عن تركيا "، ديسمبر 2020

تتأثر الهوية التركية بعدة عوامل تاريخية وثقافية واجتماعية، ولديها تاريخ طويل وثقافة غنية تمتزج فيها العناصر الآسيوية والأوربية والشرقية والغربية، اللغة الرسمية فيها هي التركية، والإسلام هو دين الأغلبية في البلاد ويؤثر بشكل كبير في الهوية الثقافية والاجتماعية، الهوية التركية تتجذر في التراث التاريخي في البلاد، بما في ذلك الإمبراطورية العثمانية التي استمرت لعدة قرون وتركت تأثيرا كبيرا على المنطقة، يرتبط العديد من الأتراك بأنسابهم وتاريخهم بالإمبراطورية العثمانية، وكان هذا ما جاء به عبد الوهاب عيساوي في روايته " الديوان الإسبرطي عن انطباع ومكنونات العثمانيين " وكيف نشأ فكرهم، فاستنتج ذلك من خلال حكم العثمانيين للجزائر وكيف كان تعاملهم مع سكان الجزائر فحصر هذا التعايش في المدينة المحروسة، فروى لنا أحداث الفترة التي حكم فيها العثمانيين الجزائر وما فعلوه بها وكان كالأتي :

يحاول عيساوي من خلال روايته أن يوضح لنا أن الأتراك ما كانوا إلا غزاة، وليس كما أظهر التاريخ بأنهم كانوا يحمون ويدافعون عن الإسلام والمسلمين وذلك بطريقة مضمرة، إذ لمح للعديد من المواقف والأحداث التي جرت داخل المحروسة توضح لنا هوية وشخصية الأتراك وأهدافهم الخفية من خلال شخصية وضعها عبد الوهاب تصور لنا هذه المواقف التي جرت بين سكان المحروسة والأتراك، فالسيلاوي هو رجل من سكان المحروسة عرف بكرهه للعثمانيين فمن خلال الرواية حاول أن يعطينا جانب من الهوية التركية أو العثمانية وهي الجشع والطمع وحب المال، فكان أحد هذه الصور حينما كان السيلاوي يفعل مشكلة مع الأتراك ويتم القبض عليه من قبل الحراس يقوم برشوتهم وإعطائهم القليل من المال للتخلص منهم، "فليست المرة الأولى التي أفلت منهم ، إما بعهد يتجاوز أوجاقهم أو بمال يشتري ضباطهم"[1]، هنا نسق مضمر يظهر فيه الروائي عن جشع الرجل العثماني.

هذا ولم يكتفي الأتراك بغزوهم للمنطقة فقط فكانوا أكثر طمعا وجشعا مع مرور الوقت حتى وصل بهم الحال إلى فرض ضرائب على السكان فقال: "يسيرونهم إلى أريافنا من أجل ضرائب تعود إلى خزينتهم ، أما في سنوات الوباء فلم ترفع الضرائب، ولم تفتح مخازنهم لأحد منا، بل ظلت معاشاتهم تزداد. يحذر الباشا أن ينقص ريالا واحدا ..."[2] حتى الانتماء إلى الدين الواحد لم يشفع لهم بترك هذا الانطباع على الرغم من كونهم مسلمين ودخلوا على دولة مسلمة كالجزائر، إلا أن طبعهم هذا متجذر في عروقهم وسرعان ما تلاحظه فقال عن هذا : " ينبهني التجار أنهم مسلمون مثلنا ولم يبدى لي أن الأمر متعلق بالدين بل بعرقهم،

[1] عبد الوهاب عيساوي، الديوان الإسبرطي، ص 63

[2] الرواية، ص 65

بسهولة تكتشف طبع هؤلاء الأتراك، كبرياؤهم لا حدود لها ميالون إلى إهانة الناس، كانت بيوتهم أجمل من بيوتنا ومزارعهم أوسع من مزارعنا..."[1] .

كانت هوية الأتراك في الزمن العثماني مبنية على النهب و السطو وحب المال، حتى أن الأوربيين سموهم بالقراصنة فكانوا يستولون على السفن الأجنبية ويفرضون ضرائب خيالية عليهم ويتقاسمون الغلة ويتهافتون عليها هذا كان سبب في تسمية أسطولهم بالقراصنة.

يقول كفيار أحد شخصيات الرواية وهو قائد من القادة الفرنسيين الذين جرت له أحداث مع العثمانيين واستطاع أن يكشف حقيقة جشعهم إذ قال : " هؤلاء الأتراك المحمديون كانوا يأخذون أموالنا ثم يستعبدوننا، هذا إن لم نقتل، ثم يقولون إن الله يأمرهم بذلك ... " [2].

سلطة المال وجشعهم جعلهم يشوهون صورة الإسلام والمسلمين، فهذه الجمهورية العثمانية تدور في فلك الصراع بين الهوية العلمانية التي سعى الأتراك والمؤسسة العسكرية لفرض دعائمها بالقوة، وبين هوية الإسلام حكمة بموجبها تركيا العالم الإسلامي لمئات السنوات كسلطنة وكدولة خلافة، هذه الدولة التي يخول لها الدفاع عن الإسلام والمسلمين كانت حسب الروائي عبد الوهاب دولة انتهازية انتهزت الهوية الإسلامية لفرض هيمنتها على الدول المسلمة مثل الجزائر واستغلال فترة الحكم فيها لمصالحهم الشخصية وزيادة التنمية الاقتصادية وتعمير خزائنهم فقط . فلم تقم بأدوارها اتجاه المسلمين وكانت للرواية قضية من القضايا التي أبانت عن أنانية وزيف ما جاء به الأتراك بأنهم يدافعون عن الدول المسلمة التي انضمت لهم ، فكانت الجزائر خير مثال للروائي عبد الوهاب ليظهر ذلك عندما سلمت الدولة العثمانية الجزائر للفرنسيين دون مقاومة منها ولا محاولة لصد الفرنسيين خوفا منهم، حتى أنهم لم يدعموهم في صدهم فقال سيلاوي " بينما كان الباشا وآغاه يمنعان عنا الطعام والذخيرة، أمعقول أن يواجه الجندي جيشا مثل ذلك ببطن فارغ وعشر طلقات في جيبه وبعض من جنود الإنكشارية وضعهم الأتراك للمساندة مستهزئين بهم "[3] . فلم يصمدو هم ولا الإنكشارية، وفور دخول الفرنسيين من سيدي فرج في أول خطوة لهم في الجزائر كاستعمار سلمت الجزائر للفرنسيين " للأسف سلمها الأتراك للفرنسيين " [4].

[1] عبد الوهاب عيساوي، الديوان الإسبرطي، ص 66

[2] المرجع نفسه، ص 41.

[3] المرجع نفسه، ص 144.

[4] المرجع نفسه، ص 152.

اعتبر عيساوي الأتراك في الجزائر مثل الاحتلال الفرنسي فلم يكونوا إلا غزاة بالنسبة له نظرا لما فعلوه بالمحروسة فقال عن هذا : " الآن سيرحلون ولكنهم سيخلفون جنود لا يختلفون عنهم "[1] . فأشار إلى خروج الأتراك من الأراضي الجزائرية ودخول الاستعمار الفرنسي وذلك للإشارة إلى أمر مضمر ألا وهو أنه لا فرق بين الأتراك والفرنسيين فالعثمانيين كانوا غزاة يتسترون تحت حجج فضيلة فظهرت صورتهم الشنيعة، والفرنسيين كانوا استعمارا مباشرا هدفه السيطرة والاحتلال المباشر.

1-3-الهوية الفرنسية:

اتسمت هوية الفرنسيين عند عبد الوهاب عيساوي في روايته بصورة وضعها كملخص للمجتمع الفرنسي حسب رأيي كانت أكثر تعبيرا عن ما أراد الروائي أن يلمح له اتجاه الهوية الفرنسية، وتجلى ذلك في مطلع الرواية في حادثة تجارة العظام تحديدا عندما دار حديث بين الطبيب والصحفي ديبون اللذان حققا في قضية التجارة بالعظام الجزائرية، فأخرجا هذه القضية إلى الشوارع الفرنسية بمقال كتبها ديبون وهو يشعر بالعار إزاء ما يفعله التجار الفرنسيين، فصور لنا هذا الحدث في حوار دار بينهما فكان كالتالي :

- لن ينتهي الأمر عند هذا الحد يا سيد ديبون . ولن تتوقف تجارة العظام كن متيقنا من هذا
- ولم هذا اليقين ؟
- انظر إلى الرصيف ، قد أضحى خاويا من البشر ، هؤلاء يجمعهم الفضول وتفرقهم الحقيقة .
- والذين رافقتهم في عرباتهم ؟
- عدا ما سيفعله الوكيل المدني، الباقي لا معنى له، غرامة بفرنكات وربما قد تعود الصناديق إلى الجزائر[2].

من خلال هذا الحوار نستنتج جوانب من الهوية الفرنسية، فالتجارة بعظام الجزائريين ليس هناك أفظع من هذا حتى الصحفي ديبون وهو فرنسي لم يتقبل هذه الوحشية. كيف للإنسان أن يستهلك عظام أخيه وبني جنسه لصنع مادة تجعل من السكر أكثر بياضا، وغير هذا فهو يرى في هذه التجارة ربحا له ودافعا ليرضي طمعه لجني المال، حتى ولو كان نهشا لعظام من بني جنسه. هذه القضية لن نخص بها التجار والحكومة الفرنسية فقط، فكيف تقبل الشعب الفرنسي شيئا كهذا ورضي بخزي مثل هذا إذ أنهم تقبلوا أنهم استهلكوا في بطونهم عظاما بشرية فلم يحتجوا عن ذلك، فهذه دلالة عن مدى قسوتهم وفضاعة نفوسهم، ودليل على أنهم مجتمع وحشي يرضون بأكل لحوم البشر.

[1] المرجع السابق، ص 152

[2] المرجع نفسه، ص 24.

قد تتوافق بعض المجتمعات والدول المستعمرة في حبها للنهب والسطو على خيرات المستعمرات، لكن ليس الجميع بهذه الوحشية إذ يرضون بتجارة مثل هذه ويرون في العظام البشرية مصدرا لجني الأموال، ثم أي شيء يبرر بيع عظام أمة أخرى بدعوة أيا كان هدفها.

2/-عادات وطقوس أخرى :

صور لنا عبد الوهاب عيساوي من خلال روايته "الديوان الإسبرطي" عادات وثقافة الغرب، وكيف تمثلت حياتهم في الحرب والغزو وأيضا ما يمليه عليهم دينهم وعقيدتهم، ثم وظف أيضا الثقافة العربية الجزائرية وعاداتهم ومعتقداتهم.

من خلال ما قرءناه في أسطر هذه الرواية وعلى صدد ما تحدثنا يمكننا أن نرى نسق مضمر، تمثل في أن الغرب على الرغم من أن دينهم ومعتقداتهم وسلوكاتهم قبيحة إلا أنهم متمسكون بها فهم يمجدون لثقافتهم، أما العرب المتمثلة صورتهم في الجزائر على الرغم من أنهم يعرفون أن دينهم على حق ،وأن ما يفعلونه من سلوكات يمليها عليهم دينهم هو ما سيرشدهم إلى الصواب إلا أنهم سرعان ما يتأثرون بالغرب بطريقة سلبية.

وعلى هذا أخذنا بعض الانطباع صورها الروائي عبد الوهاب عيساوي تناولت هذه الرؤى فكانت كالآتي: يقول الراوي "النساء و الأطفال يتأبطون صرر الطعام والثياب، يهرعون بها إلى الساحات العامة... ترى صفوفهم اللانهائية مثل النمل يزحف كل هؤلاء إلى المدينة يهدفون إلى الميناء...،يردد الجنود أغانيهم الاحتفالية بصوت واحد إلى سرد حكاية نصرهم...، تكلم العجوز الذي قاسمني المقعد في إحدى الساحات، كانت عيناه تنفران اتجاه الجموع، وفمه يلهج بذكر الملك، ثم يهم بصياح لكن صوته لا يسعفه المجد للملك المجد للمسيح[1]."

تظهر هنا الصورة الاحتفالية للشعب الفرنسي وهو يحتفل بأصطوله و يدعمونه، على الرغم من أنه ليس مدعاة للفخر ومنبعا للانتصارات "وأنا العارف أن أسطولنا لم يكن في يوم ما منبعا خالدا لانتصاراتنا"[2] ، حتى أنهم كانوا يعلمون أن سفنهم التي ترسو في الميناء كانوا يسمعون بأنها تحدث بها أشياء عاصفة تدور حول تجارة ممنوعة "لم تكن مرسيليا إلا ميناء تجاريا تحدث به أشياء غامضة تتعلق بالتجارة. اتهامات

[1] - عبد الوهاب عيساوي ، الديوان الإسبرطي ، ص 93 .

[2] - المرجع نفسه، ص 94 .

تشير إلى مخازن السفن ، وشائعات عن تورط الأسطول في تجارات ممنوعة " [1]، على الرغم من أن سفنهم كانت تحمل عظام بشرية تاجروا بها وهم يعلمون أن هذا أمر يدعو إلى خيبة الأمل والخزي إلا أنهم يحتفلون ويدعمون أسطولهم ، وينشدون لهم ويتغنون بهم ، ويحضرن النساء الطعام لهم ويتلقاهم جند كبير من الناس لدعمهم والرفع من معنوياتهم.

حتى دينهم ومسيحهم الذي يؤمنون به على الرغم من أنه على ضلالة وهم يدركون أنه ليس هو الدين الحق، إذ تتجلى صورة مسيحهم في القتل وسفك الدماء إلا أنهم متمسكون به لأنهم من صنعوه و سنوا له قواعده على حسب احتياجاتهم، فكان هذا الإضمار من قول السيلاوي: "إن الرب الذي صرت أومن به لا يرضى لي بمد خد الآخر إنه إله مسرته في سفك الدماء من أجل مجده، لذا ليس عليك لومي ونحن نستقي من الكتاب نفسه"[2].

و يقول السيلاوي أيضا: " تحمل الصليب في وجهي وكأنني كافر أو ممسوس ". تتجلى هنا الديانة المسيحية عند الغرب وما تخللها من تحريف وتفسر يختلف عند كل شخص، فهنا تتجلى صورة الصحفي ديبون وقائد الحملة كافيار، فعلى الرغم من أنهما يستسقيان من نفس الكتاب والدين إلا أن كل واحد كيف فسره وكيف قرأ أسفاره "نحن نستقي من الكتاب نفسه، فالكل يقرأ الأسفار على طريقته "[3].

كافيار تتجلى له صورة الرب في سفك الدماء والقتل وجني المال بأي طريقة، أما الصحفي ديبون فهو لا يرضى بتشويه صورة المسيح الذي يؤمن به، فتجلت لنا فيه صورة الرجل الذي لا يرضى بسفك الدماء ولا يسمو لمجد فوق الجثث ولا يسمو لتاج من العظام كباقي التجار والقادة والمساهمين في هذه الحملة.

على الرغم من كل هذا إلا أن الغرب متمسكين بديانتهم وبثقافتهم ومعتقداتهم ويمجدون لكل ماهو منتم لكيانهم حتى لأمواتهم، وكان ذلك من خلال ما جاء به كافيا وهو يمدح قائد نبليون على الرغم من خسارته في معارك عديدة وآخرها معركة واترلو حيث لقي حتفه فيهافقال: " ولو لم يمت مبكرا لانتظرت انبعاثه من جديد، بعض الرجال من الفينيق، ليس موتهم إلا مرحلة من مراحل حياتهم، أذكر أنني قفزت فرحا عندما سمعت بفراره من منفاه في ألبا، قلت في نفسي الوداع لهؤلاء الملوك، وفعلا لم يمض إلا شهر على فراره، حتى استعاد جيشه، لا يمكن أن يفعل هذا إلا نابليون يا ديبون، ومن المخزي مقارنته بمن خاننا

[1] - المرجع السابق، ص 95

[2] الملرجع نفسه، ص 30

[3] المرجع نفسه، ص 30

في وترلو"[1]. هنا أيضا نرى صورة النسق المضمر وهي الحنين إلى القائد القديم نبليون وافتقاده في قيادة الحملات الفرنسية ومدحه بعد موته على الرغم من أنه خسر العديد من الحملات والحروب فيقول أيضا: "كان نبليون أفضلهم ولكنه خسر في وترلو[2] "، و أيضا حينما قال: " هل قدر لعظيم مثله أن يدفن هناك بعيدا عن أروبا "[3].

جسد عبد الوهاب عيساوي صورة ثقافته الجزائرية العربية في عدة مواقف في روايته وكيف تأثرت بالاستعمار الفرنسي اثر مكوثه 130 سنة وتعاقب عدة حضارات في حكم الجزائر فأعطانا صور لهذه الثقافة وخلف وراءها أغراض مضمرة لمح إليها، وتمثل ذلك حينما قال ابن ميار فور مجيئه إلى المحروسة بعد رحلته الى باريس وهو مفجع من التغيرات التي طرأت على البلاد أثناء غيابه يقول : "حدقت في الزخرفة الجميلة التي علت الباب والنافذة كانت الأشكال مختلفة عن تلك التي خلفتها عن أبواب المحروسة ونوافذها .الله حاضر دوما معنا حتى في زخرفتنا...، ونجعل اسم النبي الكريم أيقونة بخطوط مختلفة نعلقها في بيوتنا ومساجدنا. أقف وأطل من نافذة الغرفة فتتراءى لي كنائسهم الشاهقة. كان في مقدورهم طلب بيوت أخرى ولكنهم أصروا على المساجد[4] ".

من هذا المثال نرى أن عبد الوهاب عيساوي مدنا بنسق مضمر تمثل في إعطاء لمحة عن الثقافة العربية الإسلامية ،وهي أن يقوم المسلمون بتعليق زخرفات من قول الله والرسول على جدران منازلهم وفي المساجد دليل منهم على حبهم لدينهم ،ثم يتفاجأ بالتغيير الذي فرضه المستعمر بتحويل هذه المساجد الى كنائس فيقول: "كنت حزينا على المساجد والأوقاف التي أخذت عندما حل بورمون وما بعده كلوزيل ،ومضت سنوات ثلاث لم نستطع استرجاع أي منها، جامع الباديسان، جامع الرابطة، والصباغين، وجامع القبائل، وجامع الرحبي، وعلي خوجة، وسيدي عمار التنسي، وجامع عبدي باشا...، وكان أجملها مسجد السيدة...وقد بني حتى قبل مجيء الأتراك، ثم يأتي كافيار وببساطة يقرر تعويضه بساحة مثل التي في باريس "[5]. فخلف عيساوي وراء هذه الصورة نسق مضمر أشار إليه وهو طمس الدين الإسلامي.

ثم ذكر لنا الروائي بعض الشعائر والأشياء التي تميزت بها الثقافة العربية والأسلامية،فيقول الراوي " قمت وتوضأت، ثم صليت ودعوة الله "، وفي نفس الصدد قال "سرق منبره، وكتب وألواح الرخام

[1] المرجع السابق، ص 31
[2] المرجع نفسه، ص 95
[3] المرجع نفسه،ص 264
[4] المرجع نفسه، ص 275
[5] المرجع نفسه، ص 276

المنقوشة بأسماء الله الحسنى، والأفرشة، ثم ارتفعت المعاول في السماء وطغت تهد جدرانه...وبعد أيام كنا نصغي مرغمين لأجراس الكنيسة الجديدة التي حلت محل مسجدنا "[1]، جاءنا عبد الوهاب بصورة المسجد وشكله وأثاثه ومستلزماته مبرزا الثقافة العربية الإسلامية كيف أنشأة مساجدها وكيف بنيت لتأدية الصلاة عند المسلمين.

يقول ابن ميار: " ثم دنوت من ضريح سيدي عبد الرحمان الثعالبي وهمست: هم لا يريدون إبقاء أحد في مدينتك. رحل أكثر من ثلثي المدينة والذين بقوا أغلبهم من الفقراء، وكل من رحلوا أخدت ديارهم وأسكنت..." [2] .

هذه الصورة لأحد معتقدات وعادات العرب وهو أن يبنوا ضريحا لولي صالح عند موته ليدفن فيه تحت القبة ليتقربوا به الى الله ويشكون له مآسيهم ليقضي حاجاتهم فينتظرون منه إشارة توحي لما يرغبون بتحقيقه، إذ أن هذه الممارسات أراد عيساوي من خلالها تمرير نسق مضمر أخر تجلى في خاطره ألا وهو حالة الإسلام عند الجزائريين وجهلهم عن دينهم أثناء التواجد العثماني، وذلك لغياب الأدوار التوعوية للحكومة التركية لتوجيه وإصلاح المعتقدات المنحرفة، خاصة وأن الإسلام وصل آنذاك إلى مرحلة لا بأس بها، ثم إن هدف الدولة العثمانية كان توحيد الدين الإسلامي والأراضي المسلمة إلا أن الروائي يريد أن يوضح لنا نوايا الدولة العثمانية من دخول الأراضي الجزائرية، فقد كان همها الوحيد هو خيرات البلاد وطمعهم في نعيمها، هذا ما خلف انحذار في المعتقدات الدينية وانتشار الانحراف والممارسات الغير أخلاقية عند الشعب الجزائري، فهذا في حد ذاته نسق مضمر ألا وهو انشغال الأتراك بنهب خيرات البلاد وغياب الأدوار التي يدعون أنهم جاءوا من أجلها وهو نشر الإسلام.

هناك صورة أخرى في الرواية عن غياب التوعية وتفشي السلوكات اللا أخلاقية وتمثل في المرأة الجزائرية عندما تهم بهن المحن أو الأحداث المحزنة أو عند وفاة أحبابهن يلطمن وجوههن ويندبنها ولا يبالين ببروز خصل شعرهن على الرغم من أنها تنافي ما جاءت به العقيدة الإسلامية، فعرف آنذاك هذا السلوك عند النساء للتعبير عن أحزانهم فتجلى ذلك في الرواية فيقول الراوي: "النساء يكشفن عن شعورهن ويندبن."[3]

.

[1] ينظر، عبد الوهاب عيساوي، الديوان الإسبرطي ص 277

[2] المرجع نفسه، ص54.

[3] الرواية، ص 66.

يقول حمة السيلاوي: " كانت تلبس فستان أبيض يميل إلى الصفرة، تغطي شعرها بخمار مشنتل تتدلى خيوطه الوردية على جبهتها"[1]، كان هذا مثال عن لباس المرأة الجزائرية المسلمة، ونلمس في هذا المثال نسق مضمر تجلى ذلك في لباس المرأة فعندما قال فستان أبيض يميل إلى الصفرة، هذا دليل على اتساخه وذلك لكثرة ارتدائه وهذا دليل أيضا على الفقر الذي ساد البلاد أثناء تواجد الاستعمار الفرنسي .

و يقول الراوي أيضا: "لم أزل أراقب العرس من خصاص النافذة، حتى تناهى لي صوتها حزينا، وما فتىء أن تعالى بكلمات مزهوة بالفرح، وقفزت بعض النسوة يرقصن بحملهن في أيديهن المناديل يلوحن بها، على وقع الدفوف" [2]، هذه أيضا صورة عن ثقافة إقامة الأعراس عند الجزائريين من دق الدفوف، والغناء، ورقص، وكيفية الاحتفال بالعروسين تحت عادات وتقاليد وطقوس ميزت العرب عن باقي الأمم .

[1] الرواية، ص 69

[2] عبد الوهاب عيساوي،الديوان الإسبرطي، ص 69.

خاتمة

خاتمة

بعد دراسة هذا الموضوع "الأنساق المضمرة " وبعد تحليل ودراسة رواية "الديوان الاسبرطي " لعبد الوهاب عيساوي ،توصلنا الى مجموعة من النتائج يمكننا صياغتها فيما يلي :

- أول ما يمكننا أن نلاحظه من هذه الرواية هي أنها رواية تاريخية بامتياز ، قسمها الروائي الى خمسة أجزاء كل جزء تروى أحداثه على خمس شخصيات .

- تجسد هذه الرواية مرحلة مهمة من تاريخ الجزائر وهي التواجد العثماني ثم الاستعمار الفرنسي في الأراضي الجزائرية .

- تشبع الروائي وعمق معرفته بثقافة وتاريخ بلاده ،إذ جعلنا وصفه الدقيق لتفاصيل أحداثه، وكأننا نتجول بين أزقة مدينة الجزائر وشوارعها آنذاك ،كما استطاع أن يرصد لنا طبيعة الإنسان الجزائري والتركي والفرنسي ومميزات كل فرد منهم .

- تعدد الأنساق في الرواية ولعل أبرزها ما رصدناه في النسق التاريخي والسياسي إذ جسد الروائي أحداث مرحلة مهمة من تاريخ الجزائر فصور لنا أحداث تاريخية وسياسية عاشتها الأرض المحروسة، حاول تأويلها عبر رؤى مضمرة جاءت فيما رواه رواة الرواية خاصة الراوي حمة السيلاوي والراوي الصحفي ديبون.

- من جهة أخرى نجد من أهم أنساق المضمرة التي كشفناها في الرواية النسق الثقافي المضمر الذي جاء عبر تلك الصور التي قدمها لنا الروائي عيساوي عن الثقافة الجزائرية وهوية الرجل الجزائري والتركي والفرنسي واليهودي أيضا وإن لم يذكره كثيرا.

- حصر وقائع قصته وسرده في "المحروسة" وهي الجزائر العاصمة الآن .

- عدم التزام الروائي بالتسلسل التاريخي إذ أنه بدأ روايته بحادثة المروحة جسدها في غلاف روايته ثم دخل مضمون الرواية فحدثنا عن تجارة العظام التي مارسها المستعمر الفرنسي، ثم يأتينا بشخصية كافيار ليقص وقائع جرت في الأرض المحروسة أثناء التواجد العثماني، ليعود مجددا الى الاستعمار الفرنسي بشخصية ابن ميار ،فينتقل هنا وهناك ومن حدث لآخر، هذا ما يفرض على القارئ أو المتلقي التركيز والتدقيق في أحداث هذه الرواية.

قائمة المصادر و المراجع

- **المصادر:**

- عبد الوهاب عيساوي، الديوان الإسبرطي، دار ميم للنشر، الجزائر،سنة 2018، ط1.

- **المراجع:**

- إدوارد سعيد، الثقافة و الإمبريالية، دار الآداب للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط4، ص 21
- جار الله الزمخشري، أساس البلاغة، تح فريد نعيم وشوقي المعري، مكتبة لبنان الناشرون،بيروت، لبنان، ط1، 1998، صج 13.
- شوكت الربيعي، الفن التشكيلي المعاصر في الوطن العربي،الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر،ط1، 1985.
- عبد السلام المون، الرواية والتاريخ، دار الكاتب الحديدة المتحددة، ليبيا، هذا، 2010.
- عبد العزيز حمودة، المرايا المحدبة، من البنيوية إلى التفكيك، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة و الفنون، الكويت، 1977.
- عبد الله الغذامي، قراءة في الأنساق الثقافية العربية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 2008، ط4
- كاثرين كيريرات أوركبوني، المضمر، تر ريتا خاطر، المنظمة العربية للترجمة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 2018، ط1.
- ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تح عبد السلام هارون، دار الفخر، بيروت، لبنان، 1979، ج5.
- كريم سيد محمد محمود، معجم الطلاب الوسيط، مادة النون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2016.
- ابن منظور، لسان العرب، مادة النون، دار صادر، بيروت، لبنان، 1993.
- محمد ابرهيم عبادة، معجم مصطلحات النحو والصرف والعروض والقافية، مكتبة الأدب، القاهرة، مصر، 2011، ط1.

- **المقالات:**

- بلالال الشوابكة، مقال حول "مفهوم النسق في اللسانيات"
- جعفر دندل، مقال حول " موضوع تعبير عن تركيا "، ديسمبر 2020
- رامي أبو شهاب، مقالة "في مفهوم النسق الثقافي"، جريدة القدس العربي،يوليو 2016

- محمد أبو خليف، مقال حول " تعريف الهوية "، مارس 2021
- وحيد بوعزيز، مقال حول "وظيفة النقد الثقافي هي استنطاق النصوص المطموسة، جريدة النصر، ديسمبر2018.
- ياسر الغرباوي، مقالة حول"الهوية الجزائرية"، أغسطس 2017

فهرس المحتويات

Contenu

شكر وعرفان.....

الاهداء .....

مقدمة :..... أ ب

الفصل الأول 3

مفاهيم و مصطلحات.....**Erreur ! Signet non défini.**

1/-النسق: 4

2/- المضمر:..... 7

3-الظاهر:..... 8

4- النسق الظاهر:..... 8

6 -النسق التاريخي والسياسي المضمر: 9

5-النسق المضمر :..... 9

7-النسق الثقافي المضمر:..... 10

الفصل الثاني: 13

أهم الأنساق المضمرة في رواية الديوان الإسبرطي 13

المبحث الأول : النسق التاريخي والسياسي المضمر..... 13

1/-المقارنة بين التواجد العثماني و التواجد الفرنسي في الجزائر:..... 14

1-1- الاحتلال العثماني للأراضي الجزائرية:..... 14

2-1 الهيمنة والاحتلال الفرنسي: 19

2/-الجشع و اللا إنسانية: 23

المبحث الثاني : النسق الثقافي المضمر..... 28

1/-الهوية : 28

1-1الهوية الجزائرية:..... 28

2-1الهوية التركية : 30

3-1-الهوية الفرنسية: 33

2/-عادات وطقوس أخرى :..... 34

خاتمة ..... ت